العَلْمَانِيَّة

النسبة - الدلالة - الدوافع

دراسه نقدية

الاستاذ الدكتور
فرج الله عبد البارى أبو عطا الله
أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة الإسلامية
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية
بطنطا

الطبعة الثانية

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد .

فهذا بحث عن العلمانية من حيث نسبتها ودلالتها والدوافع التى تسببت فى ظهورها فى أوربا . وهل تصلح فى بلاد الإسلام أولا ؟

فى المبحث الأول : تحدثت عن العلمانية فى اللغة من حيث النسبة هل هى بفتح العين أو بكسرها ؟

وقد رجعت إلى طائفة من المعاجم اللغوية العربية قديما وحديثا .

وأردفت ذلك بالرجوع إلى مجموعة أخرى من المعاجم الأجنبية أُحادية اللغة وثنائيتها وأتممت ذلك بالرجوع إلى بحوث أعضاء مجمع اللغه العربية مستأنسا بآرائهم فى هذه النسبة الهامة – للعلمانية حتى أشارك بجهد متواضع فى تصحيح خطأ شائع على ألسنة الكثيرين فى نطق الكلمة وبالتالى فى دلالتها .

وقد انتهيت إلى أن الكلمة لا صلة لها على الإطلاق بالعلم وإنما هى من العَالَمْ – إشارة إلى الحياة الدنيا فى مقابل الآخرة أو نسبة إلى اللا دينى فى مقابل الدينى أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد ، وبينت أن هذا هو استعمالها فى البيئة التى نشأت فيها والمنهج العلمى يقتضى أن نأخذ معنى الكلمة من عند أصحابها –

أما ما يزعمه البعض من أنها تُنسب إلى العلْم فمرده عند فريق إلى التلبيس على الناس لأن معنى الكلمة الأجنبية ما ليس بدينى ولكن اختيرت

ولكن اختيرت كلمة علمانى لأنها أقل إثارة من كلمة لا دينى أو مرده إلى عدم الاكتراث فى نطق الكلمة سواء بالفتح أو بالكسر مع الفرق الشاسع والبون البعيد بين معناها فتحا أو كسرا .

وإذا تجاوزنا عن نطقها بالكسر نسبة إلى العِلْم من جانب البعض فإن على المختصين أن ينتبهوا إلى أن النطق الصحيح للكلمة - بالفتح نسبة إلى العَالَمْ أى الدنيوى فى مقابل الدينى ، وسوف يتضح لنا من خلال عرض مدلول الكلمة ونسبتها مدى بُعْدها عن العلم جملةً وتفصيلا خاصة عند نشأتها الأولى (١)

أما المبحث الثانى - فكان عن العلمانية فى الاصطلاح - أى دلالة معنى العلمانية فى اصطلاح الأوربيين وبعد جولة فى الموسوعات ودوائر المعارف الأجنبية اتضح لى أنها تدور حول - فصل الدين عن الدولة بمعنى الاعتراف بالدين ولكن إبعاده عن شئون الحكم وأمور الدنيا - عكس ما كان حادثا إبان سيطرة الكنيسة .

أو يدور مصطلح العلمانية ، حول عدم الاعتراف بالدين أصلا والعلمانى هو اللا دينى . ويطلق فى مقابل الدينى أى الذى يهتم بشئون الدين ، وذكرت أن تعريف العلمانية فى الاصطلاح هو ما وضعه الأوربيون أنفسهم .

---

(١) يذهب البعض إلى أن العِلْمانية بالكسر - ظهرت فى بدايات القرن العشرين للتعبير عن تيار ذهنى يقوم على حل المشاكل الذهنية بواسطة العلوم فهى تنطلق من قناعة مؤداها أن للعلم القدرة الفائقة على تفسير علمى للأشياء وهذه الكلمة يطلق عليها كلمات مثل الطبيعية Vaturalisme والآلية (Mecanisme) ويذهب "هايك" إلى اعتبار مفهوم العلمانية يتمركز حول التطبيق الميكانيكى (الآلى) إن هذا التيار العلمانى وظف دعاته البحث المنهجى القائم على العقلانية والتجربة لكشف قواعد الظواهر مع ثقة مفرطة فى قدرة العلم حتى فى مجال الإشكاليات الفلسفية المستعصية وقد أدت مغالاة أصحاب هذا التيار إلى تأليب حضورهم فنعتوهم بالعلماويين
انظر فتحى القاسمى - العلمانية وانتشارها شرقا وغربا ص ٥٤/ ٥٥ الدار التونسيه للنشر

وبعد أن بسطت مفهوم الكلمة فى الاصطلاح تحدثت **فى المبحث الثالث** عن أقسام العلمانية فذكرت العلمانية الملحدة التى ترفض الدين بالكلية ولا ترى أى ضرورة لوجوده لا على المستوى الفكرى ولا المستوى الشخصى وتظهر الماركسية كأكبر ممثل للعلمانية الملحدة من حيث ترى أن الدين أفيون الشعوب – وعلى شاكلة الماركسية أنظمة الدول الشيوعية قبل سقوطها .

وبينتُ قسم آخر يدعوه البعض خاصة فى العالم العربى – بالعلمانية المحايدة أو المعتدلة وهذه العلمانية تتأرجح بين الفصل بين الدين والدولة خاصة على المستوى الرسمى ، وبين عدم المبالاة بالدين على المستوى الشعبى .

ثم عقدت تقويما للعلمانية وأوضحت أنه لا فرق فى نظر الإسلام بين العلمانية الملحدة والعلمانية المعتدلة والتى يروج لها البعض فى العالم الإسلامى – لأن هذه العلمانية تلغى نصوص الحكم بين الناس من الدين على اعتبار أن الدين لا ينبغى له أن يتدخل فى حركة الحياة – وأوضحت أن العلمانية التى يزعمون لها الاعتدال – تتعارض مع العقيدة فى أمور كثيرة اقتصرت منها على جانب الولاء والبراء – وكيف أن دعاة تلك العلمانية يميعون نصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة . وذكرت كذلك كيف أن تلك العلمانية ترفض ما توجبه العقيدة الإسلامية من الإيمان والتسليم بما فرضه الله ورسوله

أما المبحث الرابع : فعقدته للدوافع التى أدت إلى نشأة العلمانية فى الغرب فذكرت منها – امتيازات الكنيسة ورجالها – وكيف أنهما فاقا الحكام الأوربيين فى الترف والبذخ وظلم الناس وأكل أموالهم بغير حق .

وذكرت – صكوك الغفران ، وما ابتدعه البابوات والقساوسة لأكل أموال

الناس بالباطل وكيف أدت تلك المهزلة إلى نشوء الحركات الإصلاحية فى أوربا وذكرت حركة " مارتن لوثر " كمثال على تلك الحركات

ثم تحدثت بعد ذلك عن وقوف الكنيسة ضد العلم وما نتج عن ذلك من تجاوزات أدت إلى حرق الآلاف من البشر من خلال ما سمى بمحاكم التفتيش وذكرت أن هذه الأمور كلها سببت نوعا من الانفجار الذى أدى إلى ظهور العلمانية كرد فعل حتمى ولازم لهذه التجاوزات - خاصة بعد أن عرف الأوربيون العلوم العربية التى أيقظتهم من غفلتهم وأوضحت أن هذا الكلام صادر عن الأوربيين أعنى فضل العرب على النهضة الأوربية .

ثم بعد ذلك عقدت تعقيبا وتقويما لدوافع ظهور العلمانية فى الغرب فذكرت أن كل التجاوزات التى أدت إلى ظهور العلمانية فى الغرب لم يكن لها وجود فى المجتمع الإسلامى الأمر الذى يجعل الدعوة إلى العلمانية فى البلاد الإسلامية دعوة مشبوهة تريد أن تأتى على ذاتية الأمة وحضارتها -

فإذا كانت أوربا قد ظهر فيها من جعل من نفسه واسطة بين الإنسان وربه فيما عُرف بصكوك الغفران وامتيازات الكنيسة ورجالها على اعتبار أنهم ظل الله فى الأرض فإن الإسلام والمجتمع المسلم لم يعرف مثل هذا وبينتُ أن نصوص القرآن والسنة الصحيحة يدعمان التوحيد الخالص الذى لا يشوبه شائبة الشرك والتوسط بين العبد وربه .

أما قضية محاربة العلم والتى صارت سُبة فى وجه الكنيسة - فأوضحت أن نصوص القرآن حثت على العلم وطلبه وأن آيات القرآن حافلة بالنظر والتفكر والتدبر . الأمر الذى جعل العلم ينبت من رحم الدين كابن صالح له كل العناية والرعاية من جانب الدين - فما حدث عندهم لم يحدث عندنا فلماذا

نقلدهم ؟ وقد أوردت رسالة ملك إنجلترا لهشام الثالث خليفة المسلمين فى الأندلس - يطلب فيها من ملك انجلترا أن تجد ابنة شقيقه العناية والرعاية هى ومن معها أثناء طلبهم للعلم على أيدى المسلمين وأوضحت أن التخلف العلمى الآن فى البلاد الإسلامية مرده إلى بُعد المسلمين عن دينهم فإذا مُكن لهم فتحت عليهم بركات السماء وأخرجوا كنوز الأرض .

اما المبحث الخامس فكان وقفة مع بعض شبهات العلمانيين والرد عليها وقد اقتصرت على شبهتين لا يمل العلمانيون من تردادها .

الشبهة الأولى : عدم صلاحية أحكام الإسلام للعصر الذى نعيش فيه وادعاء أن أحكام الإسلام لم تطبق على مدى أربعه عشر قرنا إلا فى عهد الخلفاء الراشدين فأوضحت مدى تهافت هذه الغرية - بما قدمه الإسلام وحكامه علي مدى التاريخ من عدل وقسط وتحرير للناس - وأنه إذا حدثت تجاوزات فوزرها على من ارتكبها - وأنه يجب أن لا ننظر إلى هذا الشذوذ ونترك الصورة المشرقة التى سطرها المسلمون وكما يقوم الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

« وحتى يموه العلمانيون على الناس شذوذ دعوتهم هذه نجدهم يشوهون صورة الإسلام والتاريخ الإسلامى حتى يصبح تاريخ الخلافة الإسلامية كهانة وكهنوتاً ، وكأنهم بهذا التمويه يفتعلون مشكلة ليفتعلوا لها حلاً وذلك بدلا من الاعتراف بتميز الإسلام عن غيره وتميز المسلمين السياسى عن كهانة وتاريخ الغرب ، وحكم كنيسته بما عرف لديهم بالتفويض والحق الإلهى » من مقدمة شيخ الأزهر لكتاب الإسلام والسياسة .

عرضت هذا - وبينت تجاوز العلمانيين لحدود الشرع والعقل والتاريخ فى هذه الشبهة

أما الشبهة الثانية : فتمثلت فى إدعاء عدم صلاحية الإسلام وحكمه نظرا للطوائف غير المسلمة فى المجتمع فبينتُ تهافت هذا الادعاء من التاريخ والواقع بل ومن غير المسلمين الذين صرحوا بأنهم يتوقون لأن يحكموا بالإسلام وبينت أن الخطر يتمثل فى العلمانيين وليس فى غير المسلمين الذين حددت معاملتهم القاعدة الشرعية لهم ما لنا وعليهم ما علينا " وأخيرا فهذا البحث أقدمه بين يدي القراء سائلا الله أن ينفع به دينا ودنيا وأن يجعل أزهرنا الشريف وجامعتنا العريقة سباقة فى الصدوع بالحق وأن يوفقها الله - للزود عن حياض الإسلام الحنيف ، والأزهر الشريف .

{ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب }

د / فرج الله عبد البارى أبو عطا الله
أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بكلية
أصول الدين والدعوة الإسلامية
بطنطا

المبحث الأول

العلمانية فى اللغة النسبة

توطئة بداية لابد وأن نحدد مفهوم كلمة العلمانية كمصطلح . يشيع فى الأوساط العلمية والثقافية ، ويدور حوله جدل واسع فى الدوائر الفكرية . وباتت هناك أسئلة تطرح وبإلحاح هل العلمانية بفتح العين نسبة إلى العَالَمْ أو بكسر العين - نسبة إلى العِلْمْ ؟

فالذين يريدون الترويج للعَلْمَانِيَّةْ فى البلاد الإسلامية يقولون إنها نسبة إلى العِلْمْ - بكسر العين - وبالتالى لا يرون أى مبرر لرفضها من هذه الزاوية والذين يدققون فى المصطلحات الوافدة ويرصدون خطرها على الأمة يرجعون إلى البيئة التى نشأت فيه العَلْمَانِيَةْ - ويبينون معناها - الذى يعنى الارتباط بالعَالَمْ الدنيوى والتعلق به - بعيدا عن الدين ، ولوزامه ومن ثمَّ وجب علينا تتبع مصطلح العَلْمَانِيَّة - ليتضح لنا إلى أى الكلمتين تنتمى هل إلى العِلْمْ ؟ أو إلى العَالَمْ ؟ وبعد هذا التوضيح سوف يظهر معناها الحقيقى ونكون بذلك قد ساهمنا فى بيان هذا المصطلح - المختلف حوله بين طوائف ليست بالقليلة فى العالم العربى والإسلامى .

---

(١) انظر فى أصل الكلمة - معجم مقاييس اللغة لابن فارس جـ٤ ص ١٠٩ تحقيق عبد السلام هارون ط ٢ لسنة ١٩٧٥ وانظر المختار من صحاح اللغة للرازى جمع وترتيب محيى الدين عبد الحميد ، ومحمد عبد اللطيف السبكى ص ٣٣٥

(٢) وانظر متن اللغة جـ ٤ ص ١٩٤ مكتبة دار الحياة بيروت سنة ١٩٦٠ م

المسألة الأولى .

العلمانيه فى المعاجم العربية (النسبة) :-

لأن الكلمة حديثة الورود فى اللغة العربية من حيث النسبة إليها لا من حيث أصلها فسوف نرجع إلى المعاجم اللغوية الحديثة والمعاصرة - لنتبين متى استعملت هذه النسبة وماذا كانت تعنى ؟

ورد فى " محيط المحيط " للمعلم " بطرس البستانى

ما نصه (العَالَم) بفتح اللام - الخلق كله وما حواه بطن الفلك وكل صنف من أصناف الخلق عَالَمْ وقيل مختص بمن يعقل جمع عالمون ، وعلالم ، وعوالم ، العَلْمْ مصدر العَالَمْ ومنه العَلْمَانِىْ للعامى الذى ليس بإكليريكى (١) ويلاحظ أن هذا المعجم العربى مطبوع فى بيروت سنة ١٨٧٠ مسيحية هكذا " موافق ١٢٨٦ هـ "

وقد استخدم النسبة " علمانى " بفتح العين نسبة إلى العالم - العامى الدنيوى الذى ليس " بإكليريكى " أى الرجل الكهنوتى الخاص بالكنائس النصرانية (٢) ولم يتطرق إلى العِلْمْ أو النسبة إليه .

ثانيا : سار على نفس النهج المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية ١٩٧٣ فقد ورد فيه (العَلْمَانِىْ نسبة إلى العَلْمْ بمعنى العَالَمْ وهو خلاف الدينى والكهنوتى " (٣) وكما نلاحظ لم يخرج ما ورد فى المعجم الوسيط عن ما ورد فى " محيط المحيط " للبستانى من أن علمانى نسبة إلى العَالَمْ - وليست نسبة إلى العِلْمْ .

---

(١) محيط المحيط ص ١٤٦١ - للمعلم بطرس البستانى - ونثبت هنا أن البتسانى استخدم كلمة عَلْمَانى بفتح العين - خلافا لما ذهب إليه الأستاذ الدكتور سيد فرج فى بحثه (علمانى وعلمانية) تأصيل معجمى - من أن المعجم الوسيط هو أول من استخدم هذا المصطلح - إذ يقول لم ترد كلمة علمانى بحروفها فى معجم عربى قديم أو حديث قبل المعجم الوسيط انظر بحثه الملحق بكتابه جذور العلمانية ص ١٣٢ / ١٣٣ - نشر دار الوفاء الطبعة الرابعه لسنة ١٩٩٠ .

(٢) الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب معجم المصطلحات ص ٩٨٠ وضع الأستاذ حمدى عبيد الناشر الندوة العالمية للشباب الإسلامى

(٣) المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٦٢٤ الطبعة الثانية لسنة ١٩٧٣ م

المسألة الثانية

العلمانية في المعاجم ثنائية اللغة :

ونعني بتلك المعاجم الثنائية اللغة – أى العربية الإنجليزية أو العربية الفرنسية . هذه المعاجم ذكرت كلمة العَلْمَانيَّة إما بإهمال ضبط العين أو ضبطها بالفتح وقد ذكر الدكتور عبد الصبور شاهين أن أقدم وثيقة تعرضت لترجمة مفهوم العَلْمَانيَّة قاموس فرنسى عربى لمؤلفه لويس بقطر المصرى وجزؤه الأول مطبوع فى باريس عام ١٨٢٨ وطبع الجزء الثانى عام ١٨٢٩ م وقد جاء فى هذا القاموس ترجمة "secularism" بالمقابلات عَالَمَانِىْ – علمانى – ابن الجيل – عامى (١) ثم يورد الدكتور عبد الصبور شاهين عدة ملاحظات على ترجمة لويس بقطر المشار إليها نذكر منها :–

أولا : أن ميلاد الكلمة إذا اعتبرنا قاموس بقطر أقدم مصدر لها كان مصريا فى الربع الأول من القرن التاسع عشر على يد هذا المترجم ، ومن عاونه ٠

ثانيا : أن الترجمة راعت المعنى الأصلى للكلمة ، ومقابله العربى بصورة كاملة فجاءت كلمة (عَالَمَانِيَّةْ) تعبيراً دقيقا عن بداية صحيحة ثم ترخص المترجم فذكر فى الصفة إلى جانب (عَالَمَانِىْ) (عَلْمَانِىْ) (٢) ٠

وقد زاد انتشار مصطلح العلمانية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فقد ورد فى معجم الفرائد الدُرية – عربى فرنسى مطبوع فى بيروت ١٨٨٢ م ٠

---

(١) انظر العلمانية : تاريخ وصياغتها الدكتور عبد الصبور شاهين ملحق بكتاب جذور العلمانية للدكتور سيد فرج – ص ١١٩ / ١٢٠ وانظر الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب جـ ٢ ٦٩١

(٢) العلمانية تاريخ الكلمة وصياغتها ص ١٢ ٠

(عَلْمانى مقابلها فى الفرنسيه saculier ، lakgue ووضع امام الكلمة علامة تدل على أنها عامية أهل الشام مع ضبطها بالفتح (١) .

(laigue) وهذه الكلمة معناها لا دينية منسوبة إلى العلم بفتح العين لابكسرها كما يخطىء الكثيرون – متوهمين أنها من العلم بكسر العين وليست منه كما يقول الدكتور / عبد الحليم محمود – وهى بهذا المعنى تكون منسوبة إلى العَلْمْ بالفتح وهو العَاْلَمْ بفتح اللام أو الدنيا التى هى مقابل الآخرة وهذا التفسير (laigue) دهرى أو علمانى نشره اليهود فى أوربا وفى فرنسا بالذات فيما بين القرنين الثالث عشر والتاسع عشر حيث تمكن دعاة العلمانية من الإستيلاء على الحكم فى فرنسا (٢) .

أما كيف حدث التغيير بكسر العين فى العلمانية ، وجعلها نسبة إلى العلم وليست إلى العالم ؟؟ يرصد لنا هذا التطور الدكتور عبد الصبور شاهين -- بقوله :-

" إن قاموس اللهجة العامة المصرية " لمؤلفة سقراط سبيرو طبعة ١٨٩٥م يسجل وجود الكلمة فى ألسنة العامة بمصر ولكنه يضبطها بالكسر "علمانى و" علمانية " ويعلق الدكتور عبد الصبور شاهين على هذا بقوله "والعامة من شأنها ألا تدقق فى ضبط الكلمات ففى الشام تفتحها وفى مصر تكسرها دون التفات إلى هويتها " (٣) .

وقد ظهر منذ بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر حتى اليوم عدد كبير من المعاجم الثنائية اللغة كما ظهرت كتب وموسوعات أثبتت غالبيتها كلمة

---

(١) العلمانية تاريخ الكلمة وصياغتها – ملحق بكتاب جذور العلمانية ص ١٢٢

(٢) مقدمة كتاب دلائل النبوة للإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر – طبعه دار الإنسان بالقاهرة سنه ١٣٩٤ هـ .

(٣) العلمانية تاريخ الكلمة وصياغتها ص ١٢٢ .

(العَلْمَانِيَّةُ) دون ضبط حروفها إهمالا من أصحابها أو عجزا من المطبعة عن وضع الشكل أو جهلا مما أفسح المجال لزيادة إنتشار قراءتها مكسورة العين لسهولة نطقها أو توهما أنها من باب النسبة إلى العلم – كما ظهرت معاجم أخرى ضبطت عين الكلمة فيها بالكسر جهلا أو إقراراً بواقع لفظها من قبل جمهور كبير من المثقفين (١) وهذا حسن ظن فيما يبدو بمن يفعل هذا لأن الكسر فى المصطلح له بعد آخر يتمثل فى أن الذين ينسبونها إلى العلم – يريدون تخفيف وقع كلمة لا دينية التى يعنيها مصطلح العلمانية على الأسماع برد المصطلح إلى الإشتقاق من العلم (٢) على الرغم من الإتفاق الكامل بين جميع المعاجم على أن كلمة (العَلْمَانِيَّةُ) لا علاقة لها بكلمة العلم بكسر العين لا من حيث الضبط ولا من حيث الدلالة كما يقول الدكتور عبد الصبور شاهين (٣) وأن صواب نطقها هو بفتح العين لأن ضبط كلمة علماني بكسر العين لاسند له من لغة أو تاريخ بل هو مجرد إقرار لخطأ شاع بين طوائف من المثقفين إما بسوء نية كما يذهب الأستاذ أنور الجندى (٤) أو غير مبالاة بسلامة نطق الكلمة كما يذهب الدكتور عبد الصبور شاهين (٥) والدكتور عدنان الخطيب (٦) فى بحث كل منهما المقدم إلي مجمع اللغة العربية حول كلمة العَلْمَانِيَّةُ وتطورها .

وبناءً على ماتقدم فإن كلمة عَلْمَانِيَّةٌ نسبة إلى العَالَمْ ، ويكون العلمانى

---

(١) انظر قصة دخول العلمانية فى المعجم العربى الدكتور عدنان الخطيب – بحث ملحق بكتاب جذور العلمانية ص ١٦٣ .

(٢) أنور الجندى مقال بمجلة منار الإسلام ص ٩٤ العدد الرابع عشر ربيع الآخر سنه ١٤٠٨ هـ .

(٣) العلمانية تاريخ الكلمة وصياغتها ص ١٢٣ / ١٢٤ .

(٤) مجلة منار الإسلام ص ٩٤ .

(٥) الدكتور عبد الصبور شاهين ص ١٢٣ .

(٦) قصة دخول العلمانية فى المعجم العربى ص ١٦٦

مسوبا إلى العالم للمبالغة في التعلق بالعالم . وللتخصيص بكمال هذه الصفة

. كما جاء في الرباني فتكون إضافة الألف والنون إلى العالم للمبالغة في الإنتماء إليه دون الإنتماء إلى خالق العالم - بصياغة المصدر الصناعي من كلمة العالم بعد حذف الألف ونطقها (علم بفتح وسكون) والعربية تتسع لذلك (١) فهي تميل للتخفيف في النطق إذا توالت الحركات في الكلمة الواحدة فصاغت علماني من عالماني كما يقال طلقاني من طالقاني نسبة إلى طالقان (٢) ونضيف هنا أن الذين تولوا الترجمة لم يفهموا معنى كلمتي الدين " و " العلم " إلا كما يفهمه الغربي المسيحي منها ، والدين والعلم في المفهوم الغربي متضادان متعارضان فما يكون دينيا لا يكون علميا ، ومايكون علميا لا يكون دينيا فالعلم والعقل يقعان في مقابل الدين ، والعلمانية والعقلانية في الصف المضاد للدين (٣) .

---

(١) انظر علماني ، وعلمانية تأصيل معجمي ص ١٢٩ للدكتور سيد فرج .

(٢) بحث الدكتور عبد الصبور شاهين - العلمانية : تاريخ الكلمة وصياغتها ملحق بكتاب جذور العلمانية ص ١٢٥ .

(٣) انظر الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه ص ٤٨ / ٤٩ للدكتور يوسف القرضاوي الناشر دار الصحوة الطبعة الأولى ١٩٨٧م ص ١٢٥ .

المبحث الثانى

العلمانية فى الإصطلاح – الدلالة

ورد فى معجم وبيستر العالمى ، معنى كلمة علمانى وعلمانية على النحو التالى :–

١– عَلْمَانيَّةٌ = secular دنيوى wor-ldy – (١) أولا دينى pagan ومن معانيها الشيء الذى يحدث مرة واحدة فى عصره أو جيل أو شيء مرتبط بعصره وأشهر معانيه الآن الأمور الدنيوية المتمايزة عن الأشياء الروحية غير العقدية ، وغير التى لها صفة الخلود الأخرى .

٢– ويرى ماندن mandan إنها ليست من الأشياء المتعرضة للناحية الدينية أو مخصصة لها فى مجالات (الدراما ، والموسيقى والتراتيل) أو أنها تعنى كل ما هو غير دينى " أى مدنى " .

٣– ويرى أرنولد توينبى Atoymbu أنهـا ليـست شيء مـرتبط بالحكم والحكومة ، والحكم العَلْمَانيْ من غير الدينيين ، ومن ثم فهى شيء عقلانى يقوم أساسا على القيم المنفعية فى المجتمعات التى لها سمات المجتمعات الصناعية الحديثة التى تتعارض مع العقيدة وترتبط بالعلمانية الدنيوية .

٤– ويرى فرشيلد fairehild أن العلمانى الذي ينبذ الإيمان المطلق ويعبر عنه بالنظرة العَلْمَانيَّةٌ للإنسان الحديث بمعنى الحياة فى العَالَمْ وليس فى دَيْر أو فى مجتمع دينى مع عدم الارتباط بالآراء الإكليريكية ، واللاهوتية ، وبحيث تكون أفكاره متعارضة تماما مع أفكار الراهب الناسك هذا عن معنى علمانى فماذا عن العلمانية ؟؟

---

(١) انظر القاموس الجامعى عربى انجليزى لإدوارد إلياس حيث ورد فيه عالمي : دنيوى ص ٤٦٤ .
وانظر القاموس العصرى أنطون إلياس حيث ورد دنيوى – عالمى

ورد فى نفس المعجم (العلمانية secularism)

" رؤية للحياة أو فى أى أمر معين تعتمد أساسا على أنه يجب استبعاد الدين وكل الإعتبارات الدينية وتجاهلها ، ومن ثم فهى نظام أخلاقى يعتمد على قانون يقول : إن المستويات الأخلاقية والسلوكيات الاجتماعية يجب أن تحدد من خلال الرجوع إلى الحياة المعيشية ، والرفاهية الاجتماعية دونما الرجوع إلى الدين (١) أما دائرة المعارف البريطانية فمصطلح العلمانية secllarism يعنى " حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الالهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها – ذلك أنه كان لدى الناس فى العصور الوسطى رغبة شديدة فى العزوف عن الدنيا والتأمل فى الله واليوم الآخر ومن أجل مقاومة هذه الرغبة طفقت الـ secularism تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية حيث بدأ الناس فى عصر النهضه يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية البشرية وبإمكانية تحقيق طموحاتهم فى هذه الحياة الغربية وظل الاتجاه إلى secularism يتطور بإستمرار خلال التاريخ الحديث بأكمله باعتبارها حركة مضادة للدين ، ومضادة للمسحية (٢)

ولعل ما ورد فى معجم وبيستر العالمى – وأيضا دائرة المعارف البريطانية يطلعنا معنى الكلمة عند الأوربيين الذين نشأت عندهم أصلا هذه الكلمة – وكل ما ورد عنها فى معاجمهم وموسوعاتهم يعنى استبعاد الدين – عن واقع الحياة ، ولم نلحظ لا من قريب ولا من بعيد أى صلة لها بالعلم وما يتعلق به .

---

(١) Webe sters third new inter national Dicionary , U.S.A 2050 mer-riamco 1971 .

نقلاً عن بحث الدكتور سيد فرج – علمانى وعلمانية تأصيل معجمى – ملحق بكتاب فضيلته جذور العلمانية ص١٣٥/١٣٦/١٣٧ ، وانظر العلمانية للدكتور سفر الحوالى ص٢٢ – الناشر دار الهجرة

(٢) إنظر Encyc B ritanica - V - LXP - 79

نقلاً عن مذاهب فكرية معاصرة ص ٤٤٥ محمد قطب الناشر دار الشروق .

وإذا استعرضنا بعض المعاجم والموسوعات العربية المتخصصة فى البحث فى المصطلحات الاجتماعية وغيرها فإننا نجد نفس المعانى التى تشير إليها العلمانية فى الغرب تشير إليها هذه المعاجم ، وتلك الموسوعات - ورد فى إحدى الموسوعات العربية ما نصه : -

" العلمانية - (بدون ضبط للكلمة) - حركة اقترنت بالثورة الفرنسية ، ومفادها فصل الدين عن الدولة - عن التشريع والتعليم والمراسم " (١)

وورد فى معجم العلوم الاجتماعية عن كلمة :

علم (٢) بدون ضبط للكلمة - فى الإنجليزية secular وفى الفرنسية secularise نسبة إلى العَلْم بمعنى العَالَمْ ، وهو خلاف الدينى أو الكهنوتى ، وهذه تفرقة مسيحية لا وجود لها فى الإسلام ، وأساس وجود سلطة روحية هى سلطة الكنيسة ، وسلطة مدنية هى سلطة الولاة والأمراء ، والعلمانيون يُحَكِّمُوْنَ بوجه عام العقل ، ويرعون المصلحة العامة دون تقيد بنصوص أو طقوس دينية ، وكانوا فى الغالب - مبعث التطور والتجديد فى المجتمعات الغربية ، ولذا كانوا فى خلاف مع الكنيسة ، ورجال الدين وأوضح ما يبدو نشاطهم فى الثقافة والتعليم فلهم ثقافتهم ، ومدارسهم العلمانية وعدت الثورة الفرنسية من أكبر الحركات العلمانية " (٣)

ونلاحظ أن كاتب المصطلح " حنارزق " لم يضبطه بالشكل وهذا يوقع فى

---

(١) الموسوعة العربية وضعها ألبرت ريحانى وفريق من الأساتذة الطبعة الأولى سنة ١٩٥٥ - دار ريحانى للطباعة والنشر .

(٢) وتأتى كلمة علمانى فى بعض القواميس ثنائية اللغة بمعنى الزمنى Secular أنظر القاموس العصرى ص ٢٢٣ لأنطون إلياس نشر دار الجيل . وتأتى بمعنى دنيوى Secular - أنظر القاموس الجامعى إدوارد إلياس - ص ٤٦٤ نشر المطبعة العصرية بدون تاريخ .

(٣) معجم العلوم الإجتماعية ص ٤٢٥ - إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين تصدير ومراجعة د/ إبراهيم بيومى مدكور الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥م .

اللبس والغموص لدى القارى مع ان تعريفه للمصطلح لىست فىه اى نسبه للعلم وإنما معنى اللادينية وكان الواجب عليه ضبط الكلمة بفتح العين - نسبه إلى العالم - كما سبق وأوردنا كلام الاختصاصيين - فى علم اللغة - وكما تدل الترجمة التى كتبها بنفسه .

وتحت مصطلح جمعية علمانية - كتب نفس الباحث فى معجم العلوم الاجتماعية ما نصه (جمعية علمانية secular فى الإنجليزية (أما فى الفرنسية sociere - seculaire) جمعية يغلب عليها التحرر من القيود الكنسية والاتجاه فى تعاليمها اتجاها علميا لا تخضع إلا لما تهدى إليه نظريات العلوم وقوانينها ، وتتميز برغبة أكيدة فى التجديد والإصلاح والسعى وراء نظم سليمة وصياغة القيم الإنسانية صياغة صحيحة ، وقد دفع النضال ، ونزعة التحرر العلمانيين إلى تكوين جمعيات خاصة بهم تنشر دعوتهم بين أتباعهم ، وتقاوم معارضة المحافظين ورجال الكنيسة) (١) .

وإذا كان " حنا رزق " متحفظاً عند كتابة مصطلح علمانى على الرغم من أنه لم يضبط المصطلح إلا أنه لم يشر إلى العلم والإنتساب إليه من جانب العلمانى ، ولكن وجدناه فى مصطلح " جمعية علمانية مع عدم ضبطها أيضا إلا أنه يَزج بالعلم - والإتجاه العلمى لدى المنتسبين إليها - مع عدم دلالة المصطلح فى لغته الإنجليزية أو الفرنسية - إلى العلم (٢)

---

(١) نفسه ص ٢١٣ - كتب مادة المصطلح - حنا رزق -

(٢) يبدو أن الكاتب يعبر عن تيار قام على ادعاء حل المشاكل الذهنية بواسطة العلوم وتطلق من قناعه مؤداها أن للعلم القدرة الفائقه على تفسير علمى للأشياء ، وهذا التيار العلمانى وظف دعاته البحث المنهجى القائم على العقلانية والتجربة لكشف قواعد الظواهر مع ثقة مفرطه فى قدرة العلم على حل جميع المشاكل حتى الفلسفة وقد أدت مغالاة أصحاب هذا التيار الى تألب خصومهم فنعتوهم بالعلماويين - انظر العلمانية وانتشارها شرقا وعربا ص ٥٤ / ٥٥ الدار التونسيه للنشر انظر الدكتور محمد البهى الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر مشكلات الأسرة والتكافل ص ١١

أو النسبة إليه لأن الكلمة فى نشأتها ذات مدلول كنسى يراد به نفى علاقه الدين - بالحياة الدنيا .

وأخيــرا يجب أن نشير إلى ان الكلمة التى عرضنا أصلها فى اللغة العربية ومعناها فى اللغة الإنجليزية والفرنسية لا تمت إلى العلم - بل معناها اللاديني (١) لأن كلمة العِلْمْ فى الإنجليزية والفرنسية معناها (science) والمذهب العلمى يطلق عليه كلمة scientism والنسبة إلى العلم فى الإنجليزية scientism ، والنسبة إلى العِلْمْ فى الإنجليزية والفرنسية scientifiquue (٢) وعليه فإن من ذهب فى نسبتها إلى العلم فى اللغة العربية أو استدل بمعنى كلمة العلم فى الإنجليزية أو الفرنسية لبيان معناها قد جانبه الصواب (٣) لعدم دلالة الكلمة عليها ويبدو فى ذات الوقت أن الذين ينسبون العَلْمَانيَّةْ إلى العِلْم يقصدون " دعم آرائهم فى تحييد الشرائع والقوانين عن الدين مدعين بأنهم يمارسون العلم فى تلك الآراء " (٤) .

---

(١) مقدمة دلائل النبوة للدكتور عبد الحليم محمود - نشر دار الإنسان بالقاهرة سنة ١٩٧٥ .
(٢) العلمانية للدكتور سفر الحوالى ص ٢١ .
(٣) الإتجاهات الفكرية المعاصرة للدكتور على جريشة ص ٧٦/٧٧ نشر دار الوفاء سنة ١٩٨٨م .
(٤) قصة دخول العلمانية فى المعجم العربى د/ عدنان الخطيب بحث مقدم لمجمع اللغة العربية ١٩٨٦ ملحق بكتاب جذور العلمانية للدكتور سيد مرج ص ١٦٥

المبحث الثالث

العلمانية وأقسامها

بعد أن استعرضنا التعريفات المختلفة لمصطلح العَلْمانِيَّة من ناحية الدلالة – نجد أن فحوى هذه التعريفات يشتمل من جهة على فصل الدين عن الدولة بمعنى أنه يعترف بالدين ولكن لا يجعل له أى أهمية أو تدخل فى شئون الدولة وبعض التعريفات التى سقناها للعَلْمَانِيَّة كمصطلح يفهم منها إلغاء الدين بالكلية ، ولا تجد أى مبرر لوجوده أصلا – سواء أكان بعيدا عن الدولة وشئونها أم لا ؟

وهذا جعل البعض بقسم العلمانية أو الاتجاه العلمانى إلى

١– عَلْمَانِيَّة ملحدة

وهذه العلمانية ترفض الدين كلية ولا ترى لوجوده أى ضرورة لا على المستوى الشخصى ولا مستوى الدولة ، وهذه الفلسفات ترفض وبإصرار عالم الغيبيات مثل الفلسفة الوضعية التى يدعوها " محمد أركون " المفكر المغربى بالعلمانية المناضلة ويقرر أنها موجودة منذ عصر النهضة ولكن تأصلت على يد " أو جست كونت " الذى انتهى إلى أن البشرية قد وصلت إلى مرحلة إيجابية محسوسة من المعرفة التى يجب أن تحذف الدين كلية لأنه شئ قديم بالى ، وقد سيطر هذا الموقف فترة طويلة من الزمن على أوربا الغربية

بالذات فرنسا – حيث هيمن على الأوساط الفكرية واستخدم السياسيون هذه الفلسفة المحيطه بهم بعد أن فرضها المفكرون الأوربيون (١) ومن هذه الفلسفات التى تُصنَّفْ ضمن العَلْمَانِيَّة الملحدة الوضعية المنطقية حيث

---

(١) نظر العلمنة والدين ص ٧٢ / ٧٣

ىرى هـذه الفلسفة إنكار الميتافيزيقا ، وكل ما يتعلق بها وهـذا يعنى إنكارهـم للحقـائق التى تعلو على الطبيعة وبالتـالى يؤدى هـذا إلى إنكارهم لله تعالى (١) ، وهـناك قسم من الوجودية الملحدة يرى أن الوجود سابق على الماهية وهذا يعنى أنه ليس هـناك أية حقائق سابقة على وجود الإنسـان لأن كل الحقائق تأتى من خلال الحياة نفسها وهذا التيار من الوجودية ينكر الألوهية والدين (٢)

وقد بلغت العلمانية الملحدة مداها بعد ظهور الفلسفة المادية أو الجناح اليسارى من مدرسة " هيجل " وكان " فيورباخ " أهم مؤسس عَلْمَانِيَّةٌ الملحدة التى استهدفت إلغاء الدين ، وليس مجرد الفصل بين الدين والدولة ثم أتى ماركس ودعا لهدم الدين وصولا إلى سيادة الإنسان ومن ثم سيادة المجتمع والدولة ، وأصبحت الماركسية اللينينية كدين جديد بديل عن المسيحية ويمكن القول بصفة عامة أن الدول الشيوعية التى تبنت العقيدة الماركسية قد تبنت مضمون العلمانية ويعد ، هذا أمراً طبيعيا لأن الارتباط عضوى بين الفلسفة المادية والإلحاد ، ولكن تظل الماركسية هى أخطر أشكال العلمانية الملحدة حيث اخترعت " أيديولوجيا " تبشرية من أجل أن تجعلها مقبولة من قبل المواطنين هذا من جهة ومن ناحية أخرى كان لها دولة تحذف الدين من ساحة اهتمامتها (٣)

هذه هى العَلْمَانِيَّةٌ التى يسميها البعض بالملحدة وهى كما عرضنا نزعات فكرية باستثناء الماركسية التى تحولت إلى واقع فيما عرف بالاتحاد السوفيتى والدول التى كانت تدور فى فلكه ، ولقد سقطت الشيوعية وفقدت

---

(١) العلمانية النشأة والأثر ص ١٤١ زكريا فايد - الزهراء للإعلام العربى

(٢) نفسه ص ١٤٢

(٣) انظر العلمانية والدولة الدينية ص ٦١ / ٦٣ وانظر العلمنة والدين ص ٧٣ / ٧٤

واقعها العلمي وإن كانت أفكارها ما زال هناك من يرددها ويدعو إلى اعتقادها .

٢- العلمانية المحايدة أو المعتدلة كما يسميها البعض

هذا الشطر الآخر من العلمانية يتأرجح بين الفصل بين الدين والدولة على المستوى الرسمي للدول الأوربية التي ينص دستورها على علمانية الدولة أي أن قوانين الدول واقتصادها وتعليمها تقوم على العلوم الوضعية لا الدينية

وهذه الدول انتصرت العلمانية فيها ، وسارت شوطا بعيدا في إبعاد الدين عن شئون الحكم وقيادة المجتمع ولكنها لم تصل بعد إلى مرحلة اضطهاد الدين ورفضه بالكلية كما حصل في الدول الشيوعية قبل أن تسقط وتنهار (١) ، وتضمن الدول الأوربية التي تفصل بين الدين والدولة حرية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية (٢) بدافع التطبيق لمبادئ الديمقراطية وليس بدافع الإيمان أو عدم الإيمان بدين معين (٣)

وهذه العلمانية المحايدة كما يزعم البعض لم تعارض عودة السلطه الزمنية للكنيسة الكاثوليكية في عام ١٩٢٩ م فقد قامت دولة الفاتيكان كوحدة سياسية - بعد أن أدمجت الولايات البابوية في مملكة إيطاليا منذ عام ١٨٧٠ م. وأصبح " البابا " يحكم كملك ويتبادل الممثلين الدبلوماسيين مع دول العالم ، وهذا الأمر يؤكد تزايد تفوق الكنيسة الكاثوليكية في أوربا (٤) وأيضا الكنيسة البروتستانتية - بأحزابها السياسية في ألمانيا وغيرها من الدول التي سمحت

---

(١) انظر العلمانية النشأة والأثر ص ١٤٤ ، والعلمنه والدين ص ٧٩

(٢) هذا الكلام فيه نظر فإن تعصب الأوربيين والأمريكيين لا حدود له خاصة ضد المسلمين موجود هذا التعصب في فرنسا وأسبانيا وموجود في الولايات المتحدة الأمريكية انظر بحثنا - " الديمقراطية رؤية إسلامية حولية أصول الدين يناير ١٩٩٨م

(٣) شبلي العيسيمي العلمانية والدولة الدينية ص ٥٤ / د: بغداد والطبعة الأولى ١٩٨٦ م نشر دار الشئون الثقافية العامة

(٤) العلمانية والأثر ص ١٤٤

عندها بإنشاء احزاب سياسية مسيحية

. اما الشطر الآخر من العلمانية المحايدة او المعتدلة . فهو التارجح بين الشك واللامبالاة والإنكار التام للدين وما يأتى عن طريقه

وتشير الاستطلاعات التى تتم بين الحين والآخر على أن الدين خاصة لدى الشباب الأوربى لا يحظى باهتمام كبير ففى إحدى الاستطلاعات تبين أن نسبة ٤٤٪ من الطلاب والطالبات فى الجامعة لا يصدقون بالله و ٧٪ يشكون فى وجوده و٢٣٪ يرون أنه من الممكن التصديق بنظام أعلى فى الكون أو الطبيعة عليا فيه و١٪ فقط من أربعة على استعداد للاعتراف بوجود الله ولكنه ليس إله الكنيسة أو إله الإنجيل وأن ٨٪ من طالبات المدارس الثانوية يصدقن بوجوده طبيعة عليا و٩٪ لا يصدقن بشئ ونسبة ١٪ من طالبات المدارس الثانوية تصدق بالله - ومظاهر رفض الإيمان تظهر من خلال عبارات الطلاب والطالبات لماذا يجب أن يؤمن الإنسان بشئ ما ؟ أو « أنا أؤمن بالإنسان وبالعالم وبنفسى ولكن لا أؤمن بطبيعة عليا وأنا أؤمن بالله على أنه الذى يسند إليه البالغون مالا يمكنهم أن يوضحوه فيقولون هذا من الله .

ويقول آخر أنا لست ملحداً ولكن وجود الشقاء فى كل مكان بالعالم يوحى بأن الله إله سيئ (تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً) ويواصل - لم أصل بعد إلى رأى نهائى ولكن اعتقد أنه لا توجد طبيعة عليا فى الكون

وقالت ثالثة " بناءً على تجاربى الشخصية لا يوجد إله فأنا لا أجد فى الله حماية ولا أجد فى العبادة ما يمنحنى الثقة " وقال رابع « إذا وجدت الجنة فيجب أن توجد على الأرض التى نعيش عليها لنسعد بها إن الجنة لا توهب إنها تقتنص ولا توجد جنة على الأرض » (١) .

---

(١) انظر بتصرف العلمانية النشأة والأثر ص ١٤٤ / ١٤٥

ومـاذا ينتظر من هؤلاء الشباب سوى الشك والقلق والحيرة لأن كل إناء بما فيـه ينضح ، لقد أشـربوا فى قلوبهم بغض الدين من وسـائل الإعـلام ومن المفكرين الذين يقومون بعملية غسيل مخ مستمر لهؤلاء الشباب ثم إن حكامهم لايذكرون الدين إلا قليـلا - ويأتى عـامل القـدوة التى يغرسـها القسـاوسـة والقائمون على شئون الدين فى الغرب والتى من شأنها أن تنشىء سداً منيعاً بين الناس وبين الدين ٠

تعقيب

مدى تعارض العلمانية مع الإسلام

إن العَلْمَانيَّةُ بدلالتها وأقسامها وليدة ظروف خاصه فى اوربا ومن الممكن أن يتعايش الأوربى مع الدين الكنسى دون تدخل من أحدهما فى شئون الآخر ، والعلمانية بقسميها الملحدة والمنكرة للدين أصلاً أو التى تعترف بالدين ولكن تفصله فصلاً نهائياً عن شئون الدولة وواقع المجتمع – قد مسخت الدين ومن ثمَّ قبلت أن تتعايش معه .

إن الأوربى إذا حكمه قانون وضعى لاينزعج كثيراً ولا قليلاً لأنه لايعطل قانوناً فرضه عليه دينه ولايشعر بالتناقض بين عقيدته وواقعه – كما يشعر به المسلم الذى يوجب عليه الإيمان بالله ورسوله والاحتكام إليهما فيما شرعا ، والسمع والطاعة كما أمرا به ونهيا عنه (١) ومن ثمَّ فليس عندنا فى التصور

---

(١) العلمانيون والإسلام محمد قطب ص ٩٥ / ٩٦ ، وانظر العلمانيه وجهاً لوجها ص ٥٤/٥٥ للدكتور / يوسف القرضاوى .

(٢) يقول شلبى العيسمى من العراق (نعتقد بأن اتباع المنهج العلمى والموضوعى فى فهم ومناقشة العلمانية المحايدة وغيرها من الأفكار والمذاهب السياسية وفى الدفاع عن الإسلام وقيمه الإيجابية هو الطريق الأسلم لخدمة الإسلام ومصلحة المسلمين ، يقول هذا بعد أن يناقش الذين يستبعدون العلمانية على اعتبار أنها مبدأ مستورد يحاول إخراج المسلم عن ذاتيته الإسلامية ويقول « إن العلمانية المحايدة هى الملائمة لمجتمعنا العربى » انظر العلمانية والدولة الدينية ص ٦١/٦٢ ، ٦٣ . أما محمد أركون المغربى الأصل والذى يعيش فى فرنسا وتترجم كتبه من لغتها – نراه يقول تحت عنوان (استعادة علمانية للإسلام) [يوجد فى الإسلام ما أدعوه بالدالات الثلاث : دين ، ودنيا ، ودولة – الدين هو الدين كما تعلمون] [من النص يقصدهم إذا كان الأوربيون فمدلول الدين عندهم غير مدلول الدين عند المسلمين) والدنيا هى العالم الدنيوى الأرضى ، والدولة تخص عالم السياسة وهذه هى الأقطاب الثلاثة التى تتمحور حولها بشكل مستمر المناقشات والتأملات فى الساحه العقلية الإسلامية ، لقد أدخلت الظاهرة القرآنية بعد الوحى المعطى أو معطى الوحى كما حصل فى المسيحية ولاتهمنا هنا التركيبات الثيولوجية واللاهوتية وأنماطها التى سادت فى هذا الطرف أو ذاك فالوحى المعطى يشكل بالنسبة لنظرتنا وتحليلنا قطباً أساسيا بمعنى أن النظرة الإنسانية أصبحت مركزة على الله وموجهة نحو الله انه إله حى يتكلم ويتدخل فى تاريخ البشر هذا الله ليس تجريداً=

لأن المحصلة النهايه - استبعاد بعض ايات القران الكريم واحادث الرسول ﷺ والذين ينادون بالعلمانيه فى المجتمعات الإسلامية - يخرجون عن منهج الإسلام من حيث أنهم يأخذون البعض ويتركون البعض الآخر - لأن الإسلام نظام شامل لحياة الإنسان ومترابط فى مبادئه لايقبل التجزئة بحال ، وقصر التطبيق على جانب فى حياة الإنسان أو جانبين فأكثر دون باقى الجوانب معناه إفساح مكان لهوى الإنسان بجانب مايطبق من مبادىء القرآن وشتان بين هوى الإنسان ووحى الله ، ولو قصر تطبيق القرآن على أداء العبادات أو كما يقال على حياة المسجد وأبعد عن مجالات الشئون السياسية والإقتصادية والإجتماعية مثلاً كان إبعاد القرآن عن تلك المجالات كفر ، بمبادىء القرآن فى هذه المجالات وكان حكم الإنسان المسلم فى المجتمع الإسلامى يخضع للهوى أو للشيطان فى المجالات التى يبعد فيها القرآن -

---

== ذهنياً إذن وإنما هو كائن حى يتجلى فى التاريخ ويتدخل ويعبر عن إرادته ويصدر أوامره لكى تجرى تاريخ البشر طبقاً للمنظور والمخطط الذى أراده وهذا المعطى الموحى أو الوحى المعطى محدد بدقة ومحصور فى عدد محدد من العبارات اللغوية التى يمكننا أن نقرأها إنه القرآن المشكل على هيئة مدونه نصية لغوية رسمية مغلقة (المصحف) ويمكننا أن نقول الشيء نفسه عن الكتابات المقدسه المسيحية - وأنا أقول هذا الكلام أتحدث بصفتى علمانياً وليس بصفتى رجل دين على الإطلاق وهذه هى الطريقة العلمانية فى طرح المشكلة وهى تحاول أن تعيد دمج العامل الدينى فى الدراسة وليس إستبعاده وإهماله قلت العامل الدينى وليس الأديان أو العقائد بحد ذاتها أو بمضامينها التفصيلية) انظر العلمنة والدين محمد أركون ترجمة هاشم صالح - دار الساقى هذا هو الإتجاه الذى لايرى أى مبرر لرفض العلمانية خاصه إذا كانت محايدة لاتلغى الدين بالكلية وهو يحدد ذلك بقوله عن نفسه (بقى غائبا عن الساحة ذلك الموقف العقلى الذى أتبناه شخصياً والذى يضع كلاً من الموقف الدينى والموقف العلمانى على مسافة متساوية) المرجع ص ٦٩/ ٧٠ - فهل من الممكن أن يكون المسلم علمانياً ومسلماً فى الوقت نفسه ؟ إن الأوربى النصرانى لا يمنعه دينه من ذلك - ولكن المسلم تمنعه آيات كثيرة فى القرآن الكريم أن يحتكم لغير الله وأن ينزل على غير أمره ومن ثم فالإسلام والعلمانية ضدان لا يجتمعان بحال من الأحوال وعلى نفس المنوال سار البعض عندنا فى مصر وسوف نورد مبحاثاً خاصاً للرد على شبهاتهم بعون الله .

ولذلك يقول الله تعالى « وأن احكم بينهم بما أنزل الله » (١) أى فى جميع مجالات الحياة الإنسانيــة ولاتتبع أهواءهم فى جانب أو فى أكثر منها (٢)
إن مقتضى الإيمان والإسلام - الإستسلام لله تعالى فى كل مايأمر به الله ورسوله ، والإنتهاء عما نهيا عنه - أما أن يصدقا فى جانب أو جوانب ، ويتصرف على غير مرادهما فى جانب أو جوانب فهذا هو مانعاه القرآن الكريم - على الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض يقول تعالى « إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهينا » (٣) .

إن الذين يدركون حقيقة الإسلام يعرفون أنه نسيج وحده وأن قطع أى خيط من خيوطه كفيل بتمزيق هذه الوحدة المتجانسة إن الإنسان الذى يؤمن بالإسلام ذلك الإيمان المبتور المشوه سرعان مايجد أمامه هوة سحيقة تمنعه من الإندماج والتعامل الصحيح مع هذا الدين ذلك أنه محا الإيمان فى قرارة نفسه من بعض عناصر ومقومات الإسلام وأكده فى عناصر أخرى لاتملك توحد القيم الإسلامية وتكاملها لأنها لم تنبثق عن تصوره الأصيل (٤) .

إن مشكلة الأفكار المستوردة أنها تضر أكثر مما تنفع -وما يصلح لمجتمع لايصلح للآخر خاصة - فى العلمانية التى نحن بصددها ومن ثم تشكل خطراً أكيداً على الشعوب التى لا تعانى من المشاكل والأوضاع

---

(١) سورة المائدة الآية ٤٨ .

(٢) العلمانية وتطبيقها فى الإسلام ص ١٩/٢٠ د/ محمد البهى الناشر مكتبه وهبة .

(٣) سورة النساء الآية ١٥٠ ، ١٥١ .

(٤) انظر للأهمية عماد الدين خليل تهافت العلمانيه ص ٦٢/٦٣ مؤسسه الرسالة .

السائدة فى مراكز الحضارة الحديثة ويشبه الامر فى هذه الحالة أن تحقن مادة كيماوية فى جسد إنسان لا يعانى من نقص فيها أو أنه يعانى من حساسية معينة تجاهها ، ومن ثم فإن هذه العملية تولد له مشكلات صحية كان فى غنى عنها لو دبر أموره الصحيه بطريقته الخاصة (١)

ومن ثم نؤكد أن العلمانية تتعارض مع الإسلام جملة وتفصيلا - وسوف نركز على جانبين من جوانب العقيدة تتصادم معهما العلمانية تصادما واضحا :

الأمر الأول : مسألة الولاء والبراء .

بمعنى أن يتولى المسلم ما تولاه الله ورسوله ويتبرأ مما يتبرآن منه والعلمانية ودعاتها يرفضون اتخاذ العقيدة أساسا للانتماء والولاء فهم لا يقيمون للرابطة الدينية وزنا بل يقدمون عليها رابطة الدم والعنصر ، ورابطة التراب والطين يقول أحد العلمانيين " خليق بمثلى أن يشعر بالحزن والأسى وهو يقرأ للدكتور أحمد عمر هاشم تلك العبارة الغريبة (الإسلام لا يمنع من التعامل مع غير المسلمين ولكن يمنع المودة القلبية والموالاة لأن المودة القلبية لا تكون إلا بين المسلم والمسلم) لا يا سيادة الدكتور المودة القلبية تكون بين المصرى ، والمصرى مسلماً كان أو قبطيا لا فرق ، والقول بغير ذلك تمزيق للصفوف " (٢) وكأن آيات القرآن الكريم يجب أن تلغى خاصة التى

---

(١) العلمانية للشيخ محمد مهدى شمس الدين ص ١١٨ / ١٩ نشر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت

(٢) قبل السقوط ص ٨٢ للدكتور فرج فودة - وبما تجدر الإشارة إليه ان كلام الدكتور أحمد عمر هاشم الذى ينقله عنه د/ فرج فوده كلام دقيق وهو يعبر عن الذى عبر عنه القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ فى أن المودة القلبية والموالاة لا يجب أن تكون إلا بين المؤمنين وبعضهم وسوف نزيد الأمر وضوحا بعرض آيات القرآن الكريم التى تتحدث عن هذا الموضوع

تتحدث عن الموالاة بين المؤمنين بعضهم وبعض والتبرؤ من غير المسلمين حتى لو كانوا آباء أو أبناء أو أخوة أو زوجات .

يقول تعالى " **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير** " (١)

وهذه هى الحاله الوحيدة التى يرخص فيها الإسلام فى مرحلة الضعف والتى لا تجد فيها جماعة المؤمنين بداً من إظهار التقية للكافرين وذلك استثناء من القاعدة العام (٢)

أمّا فى غير هذه الحالة . فالآيات صريحة وواضحة فى وجوب تولى المؤمنين والتبرؤ من غيرهم .

يقول تعالى " **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون** " (٣)

ويقول سبحانه " **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين** " (٤)

وينفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عن الذين يوادون الذين يحادون الله ورسوله

يقول تعالى " **لا تجد قوما يؤمنون بالله ورسوله يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم** " (٥)

---

(١) سورة آل عمران الآية ٢٨
(٢) العلمانية وجها لوجه ص ١١٠
(٣) سورة التوبة الآية ٢٣
(٤) سورة المائدة الآية ٥١
(٥) سورة المجادلة الآية ٢٢

ويعطى لنا الله سبحانه وتعالى الأسوة فى أبينا إبراهيم عليه السلام يقول تعالى " **قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدابيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شئ ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير** " (١)

هذه الآية تبين تبرؤ إبراهيم والذين آمنوا معه من قومهم وتبين أن إبراهيم وعد أباه بالاستغفار له ولكن لما تبين لإبراهيم كفر أباه تبرأ منه - يقول تعالى مخاطبا النبى ﷺ والمؤمنين

« **ما كان للنبى والذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم** » (٢)

والله عز وجل إذ يعلن وجوب التبرى من الكفار سواء أكانوا آباء أو أبناء كما مر فى الآيات التى ذكرنا - يبين وجوب تولى المؤمنين بعضهم لبعض يقول سبحانه " **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز ، حكيم** " (٣)

هل يريد الدكتور فرج فودة ومن على شاكلته أن يلغى الدكتور أحمد عمر هاشم هذه الآيات وغيرها كثير - حتى يرضى عنه العلمانيون ؟

---

(١) سورة الممتحنة الآية ٤

(٢) سورة التوبة الايات ١١٣ / ١٤

(٣) سورة التوبة الآية ٧١

الأمر عملا كما قال الدكتور محمد عمر هاشم المعاملة مع اهل الكتاب وغيرهم شئ - والمودة القلبيه والموالاة شئ اخر - ويجب علينا ان لا نضيع الحدود العقدية الفاصله - تحت اى زعم واستجابة لأى ناعق (١) "

---

(١) انظر للأهمية تأملات فى تقرير الحريات الدينية العالمية للدكتور حسن أبو طالب جريدة الأهرام القاهرية ٢٢ / ١ / ١٩٩٩م

الأمر الثانى : رفض العلمانية لما توجبه العقيدة الإسلامية من الإيمان والتسليم بما فرضه الله ورسوله

إن موجب الإيمان ومقتضى الاستسلام أن ينزل الإنسان المسلم على أمر الله وأن لا يكون له رأى بعد قول الله ورسوله يقول سبحانه « **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا** » (١)

إن الدين الحق المتمثل فى الإسلام الذى دعا إليه صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يكون عقيدة مفصولة عن الشريعة - لأن الالتزام بالشريعة هو مقتضى العقيدة ذاتها (٢) ولذلك يقول سبحانه « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيا شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما** » (٣)

يقول ابن تيمية معلقا على هذه الآية « فلما نفى الإيمان حتى توجد هذه الغاية دل ذلك على أن هذه الغاية فرض على الناس فمن تركها كان من أهل الوعيد » (٤)

إن رباط العقيدة والميثاق الذى بين العبد وربه يفرض على المسلم أن يكيف حياته فى السراء والضراء فى المنشط والمكره . وفقا للأحكام التى تجسدها - العقيدة الإسلامية ، وأن يتجلى أثر الإيمان فى سلوك المؤمن وعلاقاته - كلها على مستوى الحاكم والمحكوم الفرد أو الجماعة إن إخلاص العبادة يقتضى الاعتقاد بوحدانية الله سبحانه وتعالى ويقتضى توجيه الشعائر التعبدية له وحده ويقتضى كذلك التصديق بكل ما جاء من عند الله على لسان

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٦
(٢) العلمانيون والاسلام ص ٩٦
(٣) سورة النساء الآية ٦٥
(٤) الإيمان لابن تيمية ص ٣٣

رسوله ﷺ والاحتكام إلى شريعة الله وحده دون غيرها من الشرائع وأى إخلال بواحد من هذه الثلاثة يجعل من لا يلتزم بها على خطر عظيم من الناحية الإيمانية [1] والعلمانيون يريدون من العقيدة أن تظل حبيسه لا شأن لها بالحياة وسير المجتمع وأقصى ما يسمحون به أن يتحدث بها بين جدران المسجد [2]

وأخيرا نتساءل هل يمكن أن يلتقى الإسلام مع العلمانية التى تقول لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين أو تقول الاقتصاد لا علاقة له بالدين أو تفصل بين حكم الدين وبين أى شئ فى حياة الإنسان ؟ [3] . إن العلمانية شجرة خبيثة زرعها وقام على رعايتها أناس لا يرقبون إلا ولاذمة فى المؤمنين لأنهم يخربون الدين والوطن والمجتمع بما يبثونه من سموم .

---

(١) العلمانيوة والإسلام ص ٩٩

(٢) العلمانية وجها لوجه ص ١١١

(٣) العلمانيون والإسلام ص ١٠٢

المبحث الرابع :

دوافع ظهور العلمانية فى أوربا .

تمهيد

ظهرت العلمانية فى أوربا كرد فعل لتسلط الكنيسة ورجالها على الأوربيين باسم الدين النصرانى

ومما تجدر الإشارة إليه أن أوربا لم تعرف الدين الصحيح الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام – لأنه بعد رفع عيسى والاضطهاد الذى وقع على تلاميذه وأتباعه من جانب اليهود ، والرومان على حد سواء انزوى الموحدون من أتباعه – محاولين المحافظة على تعاليمه ، ولكن ظهرت شخصية يهودية كان لها أكبر الأثر فى الانحراف عن رسالة عيسى ﷺ هذه الشخصية هى « بولس » (١) الذى كان يهوديا يكن العداء لرسالة المسيح ولتلاميذه ، وفجأة ادعى أن المسيح تراءى له على طريق دمشق (٢) ، ومن تلك اللحظة حاول بولس إنشاء ديانة جديدة لا تمت للنصرانية التى جاء بها عيسى ﷺ بصلة فقد انطلق بدعوته إلى الأمم الوثنية من اليونان والرومان وقد اختزل تعاليم عيسى ﷺ لتتناسب مع طبيعة المدعوين . فأبطل العمل بتشريع التوراة ، وحول النصرانية إلى مجرد عقيدة ، وزعم أن النجاة لا تكون بالأعمال والتشريعات بل بمجرد الاعتقاد فى أن عيسى هو الإله المخلص للبشر من الذنوب والخطايا (٣) وقد انتشرت النصرانية بين الشعوب الوثنية نظراً لأنها لم تكلفهم أى شئ – وحين دخلت النصرانية روما ظل الناس على تشريعاتهم وقوانينهم الوثنية وكان من المنتظر أن تغير النصرانية عقائدهم وأخلاقهم ، ولكن العكس هو الذى حدث حيث ترومت النصرانية ولم تتنصر روماوقد تركزت

---

(١) انظر بحثنا نقض دعوى عالمية النصرانية ففيه مناقشة وافية لرحلة بوليس إلى دمشق وادعائه رؤية المسيح وتكليفه لبولس بنشر المسيحية – حولية أصول الدين بطنطا ١٩٩٧ م

(٢) بولس والنصرانية ص ٣د - للدكتور محمد أبو الغيط الفرت دار الطباعه المحمديه

(٣) ويلر - معالم تاريخ الإنسانية حـ ٢ ص ٧٥

السلطة فى الغرب فى بطر يرك او بابا « روما » وكان الجميع على الدوام يعترفون بان أسقف روما هو الأول بين البطاركة وتآزرت كل هده الأمور على تبرير ادعائه بصورة غريبة بأن له الحق فى ممارسة سلطات شبيهة بسلطات الإمبراطور

يقول ويلز « وبينما الشعوب البربرية تستقر وتتحول إلى المسحية شرع البابا يدعى أن له السيادة العليا على ملوكهم ، ولم تنقض بضع قرون حتى أصبح البابا الكاهن الأعلى ، والرقيب والقاضى والملك المقدس للعالم المسيحى» (١) وكانت هذه السلطات الواسعة مع ما يتبعها من إمتلاك الأراضى وتحصيل الأموال وما يصاحبها من ترف وتمتع هى التى أخرجت الكنيسه عن رسالتها التى ورثتها عن « بولس » مع ما أختطلت به من تعاليم المسيح ، وأضحت الكنيسة ممارسة لسلطات زمنية واسعة كان لها آثار ستتضح فيما بعد وسوف نتحدث عن هذه الآثار بكلمة موجزة على الصفحات القادمة إن شاء الله - لأنها كانت السبب المباشر لانسلاخ الأوربيين عن الدين وظهور ما يسمى بالعلمانية - التى ألغت الدين بالكلية أو فصلت بين الدين وجعلته من اختصاص الكنيسة ورجالها ، وبين الدولة وجعلتها من اختصاص رجال الحكم والسياسة وكان هذا الفصل فيما نرى إعادة الأمور إلى نصابها لأن الكنيسة ورجال الدين أقحموا أنفسهم فيما ليسو له أهلا سواء من الجهة الدينية أو من الوجهة الزمنية ولكن خلقت هذه الحالة بغضا لدى الأوربيين لعموم الدين ، ولم يقتصروا على الدين الذى اذاقهم الويلات ، وهنا تظهر عدم المنهجية وعدم الحيدة لدى الأوربيين أو عند العلمانيين الذين لم يفرقوا بين دين ودين آخر حث اتباعه على العلم والنظر والفكر ورفع شأن العلماء فى الدنيا والآخره هذا الدين الاسلام

(١) انظر معالم تاريخ الانسانية جـ ٣ ص

المسألة الأولى : امتيازات الكنيسة ورجالها وما صاحبه من تجاوزات .

ما إن سقطت الإمبراطورية الغربية سقطتها الأخيرة حتى اتخذ البابا لقب الحبر الأعظم "pontifexmaïmus" الذى كان الأباطرة يتخذونه لأنفسهم وبذا أصبح كاهن القرابين الأعلى فى قديم التقاليد الرومانية (١)

ولنا أن نتصور مدى الامتيازات التى لختص بها البابا ورجال الكنيسة أنفسهم هذه الامتيازات التى تمثلت فى الإقطاعيات الضخمة من الأراضى حولت القساوسة عن رسالتهم الأساسية التى ندبوا للقيام بها إلى مهام أخرى ليس فيها أدنى زهد أو ورع أو تعلق بالحياة الأخرى - وأصبح لاهم لرجال الدين إلا العمل على زيادة الأراضى الموقوفة على الأديرة وغيرها من المؤسسات الدينية ، وهناك إشارة مهمة يجب أن نوقف عليها القارئ وهى أن الإقطاع كان يحكم أوربا وكان الناس تحت سلطتين سلطة الإمبراطور وأتباعه من النبلاء ، والبابا ومن معه من القساوسة وكان كثير من النبلاء وطبقة الحكام يتمتعون بقدر من نبل الأصل وشوف النسب أما طبقة رجال الدين - فلم يراع فيهم الاختيار من عائلات أو التمتع بشرف المعدن - إذ كان يمكن لأى فرد مهما كانت نشأته الانخراط فى سلك الكنيسة والتدرج فى مراتبها ابتغاء الوصول إلى منصب كبير فى الكنيسة يدر عليه مرتبا كبيرا (٢) وقد أدى عدم التدقيق فى اختيار رجال الكنيسة مع الإمكانيات المادية والمعنوية الضخمة التى آلت إليهم إلى نوع من البذخ والفساد من جانب الذين يتولون الشئون الدينية ويناط بهم هداية الناس ،وقد أفسد الترف حياتهم الدينية والدنيوية على السواء - واعتلى كرسى البابوية أناساًهم إلى الكفر أقرب منهم إلى الإيمان . يذكر المؤرخون واحداً من هؤلاء البابوات ويدعى إسكندر السادس - الذى استطاع برشوة أعضاء المجمع المقدس - وكنتيجة لازمة لنشأته فقد

---

(١) ويلز معالم تاريخ الإنساد. . ص ٧٢٤

(٢) تاريخ العصور الوسطى [illegible] بية وحضارتها ص ١٠٠ / ١٠١ وانظر أوربا فى مطلع التاريخ الحديث جـ ١ ص

انصرف عن العبادات الروحية وانغمس فى عالم السياسة ، واقترف الكثير من الآثام ، وكانت حياته مليئة بالقانورات اتخذ منذ سنة ١٤٨٩م عشيقة له موفورة الجمال صغيرة جدا فى سنها اغتصبها من خطيبها واحتفظ بها بعد ارتقائه كرسى البابوية ، وضحى فى سبيلها بكل مرتخص وغال ، وكان شديد الولع بالفتيات الفاتنات وانشغل بهن إلى درجة الجنون وخان بلاده وفرط فيها من أجل نزواته – هذه المساوئ الخلقية بالطبع انتقلت إلى من هم أقل منه فى سلك الكنيسة ، وكانت مساوئ هذا البابا وجهازه مثار سخط من دعاة الإصلاح فقد كتب « سافونا رولا » الراهب الذى دعا إلى التمسك بالفضيلة إلى ملوك أوربا وأمرائها يقول لهم عن البابا إسكندر السادس « أقسم لكم أن هذا الرجل ليس بابا وأؤكد أنه ليس مسيحيا ولا يعتقد فى وجود الله » (١)

وقد أدى التكالب على منصب البابوية أنه فى وقت من الأوقات وجد ثلاثة باباوات على رأس العالم المسيحى الغربى ، وكان كل واحد منهم يطعن فى الآخر وفى صلاحيته لتولى كرسى البابوية بل إن بعضهم لم يتورع عن إصدار قرار الحرمان ضد البابا الآخر ، وقد كشفت هذه الأمور عن تكالب رجال الدين على المناصب وتمسكهم بها والبعد عن الإيثار والتضحية (٢) فتكشفت للناس حقيقتهم وبدأ سلطان الكنيسة يهتز فى نظر المجتمع وبدأ الناس ينفضون شيئا فشيئا من حولها وكثرت الحركات التى تنادى بإصلاحهم فلما قام مارتن لوثر بدعوته الإصلاحيه وجدلها أتباعا كثيرين من بين أبنائها (٣)

---

(١) انظر أوربا فى مطلع العصور الحديثة جـ ١ ص ١٩٤ / ١٩٥ / ١٩٦ - الدكتور عبد العزيز الشناوى (٢) نفسه ص ٣٥٦

(٣) انظر العصور الوسطى الأوربية ص ٢٨٦ د/ جوزيف نسيم

المسألة الثانية : صكوك الغفران

كما سبق وأوضحنا ان أوربا لم نعرف الدين الصحيح المنزل من عند الله على عيسى عليه السلام - وإنما عرفت خليطا من الفلسفات والوثنيات شكل الدين الذى دعا إليه البابوات والأساقفة الناس فى أوربا إليه - وانطلاقا من التدخل البشرى على نصوص الدين كانت هناك مساحة واسعة فى عقائد هذا الدين لهذا التدخل .

فقد اعتقدت الكنيسة أن البابا هو ظل الله فى الأرض ، ومن ثم فحكم البابا هو حكم الله وما صدر عن البابوات يؤكد ذلك فها هو « البابا » نقولا الأول » كما ينقل ديورانت أصدر بيانا جاء فيه « إن ابن الله أنشأ الكنيسة بأن جعل الرسول « بطرس » أول رئيس لها وإن أساقفة روما قد ورثوا سلطات بطرس فى تسلسل مستمر والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين حكاما كانوا أو محكومين » (١) وما قاله البابا ونقله ديورانت فكرته مستمدة من نص ورد فى إنجيل متى » منسوب إلى المسيح وفيه « أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابن كنيستى ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه فى الأرض يكون مربوطا فى السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً فى السموات » (٢)

ونلاحظ أن السموات ومن فيها تابعة لبطرس وكذلك والأرض التى يربط ويحل عليها ومن ثم ، نجزم بأنها لم تصدر عن عيسى عليه السلام .

وقد صبغ هذا الفكر للأسف التفكير الدينى عند معظم النصارى ، واستغل الباباوات والقساوسة أمثال هذه النصوص فى نصب هالة من

---

(١) قصة الحضارة جـ ٢١٤ ص ٣٥٢
(٢) انظر متى ١٦/ ١٩ - ٢٠

القداسة على أشخاصهم يقول أحد القساوسة « جعل الله فى أيدى المطارين مالم يجعله فى يد أحد وذلك أن كل ما يفعلونه فى الأرض يفعله الله فى السماء فإذا أذنبنا فهم الذين يقبلون التوبات ويعفون عن السيئات وبأيديهم صلاح الأحياء والأموات » (١) أى سلطان هذا ؟ وعمن يتحدثون ؟ إنهم يجعلون الله تابعا للقساوسة والمطارين تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا (٢)

إن هذه الأفكار من شأنها أن تجعل البابوات يزهون فخراً بما يملكون فإذا أضفنا ما ذكر عن نشأتهم وجهلهم والطرق غير المشروعة التى سلكوها للوصول إلى كرسى البابوية لا نستغرب ما ذكر عنهم خاصة فى استغلالهم السيئ لصكوك الغفران . الذى وجدت فيه البابوية مورداً ماليا غزيراً سهل المنال لا ينضب معينه ، ومن ثم توسعت فى عملية الصكوك وزعمت أن أثره

يمتد إلى الموتى ، وقررت أنه فى استطاعة كل إنسان حى له عزيز مات أن يشترى نيابة عنه صكوك الغفران ، وعند ذلك يغفر الله لهذا الميت كل ذنوبه ويدخله الجنة (٣) ونص الصك الذى يعطيه البابا أو من ينيبه لمن يدفع حق الصك هو « ربنا يسوع المسيح يرحمك يا (يكتب اسم طالب المغفرة) ويحلك باستحقاق الأمة الكلية القدسية

وأنا بالسلطان الرسول المعطى لى أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها ، وأيضاً من جميع الإفراط

---

(١) بين الإسلام والمسيحية لأبى عبيدة الخزرجى ص ٧٧ نشر مكتبة وهبة

(٢) تنفى آيات القرآن الكريم عن أى أحد قدرته على الضر والنفع بالنسبة للنصارى الذين يغالون فى المسيح وأمه – فإن القرآن الكريم يقطع بعدم قدرته على الضر والنفع أو التحليل والتحريم إلا بإذن الله – يقول سبحانه « قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا » سورة المائدة الآية ١٧ ويؤكد المسيح عليه السلام أن المعجزات التى وقعت على يديه هى بإذن الله – آل عمران الآية ٤٩ والمائدة ١١٠ ، والنساء ١٧٢ ، المائدة ٧٢

(٣) أوربا فى مطلع القرون الحديثة ص ٣٦٨ د/ عبد العزيز الشناوى

والخطايا والذنوب التى ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة . ومن كل علة وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسى الرسولى وامحو جميع اقدار الذنوب وكل علامات الملامة التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرص وأرفع القصاصات التى تلزم بمكا بدتها فى المطهر وأردك حديثا إلى الشركة فى أسرار الكنيسة وأقرنك فى شركة القديسين أردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا عند معموديتك - حتى أنه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يدخل معه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب ويفتح الباب الذى يؤدى إلى فردوس الروح وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه نعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتى ساعتك الأخيرة باسم الآب والابن والروح القدس » (١) إن الصك يبدو وكأنه صادر ممن يعلمون الغيب ويملكون الحياة وما بعد الموت وبعبارة موجزة يملكون أمور الدنيا والآخرة وما دام الأمر كذلك فإن لهؤلاء الذين يملكون ويتحكمون فى مصائر الناس أن يطلبوا من الذين يغفرون لهم ما شاءوا من أموال وخلافه وبالفعل استغلت صكوك الغفران أسوأ استغلال فى جمع الأموال فأصبحت الصكوك تباع بالجملة ومقدما لغفران جميع الخطايا التى ارتكبها الإنسان أو سير تكبها فى مستقبل أيامه ، وهذا يعد تحريضا على فعل الخطايا لا الإقلاع عنها ، وزاد فى مهزلة بيع صكوك الغفران أن البابوات كانوا يعهدون إلى بعض المصارف المالية بيع صكوك الغفران إلى عملاء البنك فانتقلت المسألة من عمليه دينية إلى عملية مصرفية الهدف منها حصول الكنيسة على أموال ضخمة تحت ستار دينى هو صكوك الغفران (٢). وكان بيع هذه الصكوك هو الذى أثار حفيظة بعض المصلحين للوقوف أمام

---

(١) انظر المسيحيه ص ٢٥٤ للدكتور أحمد شلبى

(٢) أوربا فى مطلع القرون الحديثة ص ٣٦٨ / ٣٦٩

الكنيسة والبابا مطالبين بالإصلاح فيها (١) فقد كانت المساوئ انتشرت

ولم يعد أحد يطيق هذا السفه الذى يرتكبه البابوات والقساوسة باسم

الدين .

---

(١) يذكر المؤرخون أن الإصلاح الدينى الذى ظهر فى أوربا على يد مارتن لوثر الذى ولد ١٤٨٣م كان سببه (أن هبط مدينة وتنبرج سنة ١٥١٧م راهب يدعى « حنا تتزل » وهو من أتباع الطائفة الدينية التى تسمى الدومينكان جاء لبيع صكوك الغفران ، وكان مقرراً أن يذهب جزء صغير من حصيله البيع إلى كبير أساقفة ماينز بينما يحول الجزء الأكبر إلى خزانة البابا ليو العاشر إسهاما فى نفقات إقامة المبنى الجديد لكنيسة القديس بطرس فى روما ، و يقال إن كبير الأساقفة ويسمى ألبرت ، قد زود مبعوثه الراهب تتزل بتعليمات يلتزم بها عند عرض صكوك الغفران للبيع ، وكانت هذه التعليمات متمشية مع الأساس الدينى الذى أكبر قدر من صكوك الغفران انزلق فى عدة مأخذ إذ أمسك بالصكوك فى يده ولوح بها فى الهواء قامت عليه فكرة صكوك الغفران ولكن هذا الراهب فى تحمسه لبيع ، وقال مخاطبا الفلاحين الذين التفوا حوله إنهم إذا أسهموا عن طواعية واشتروا صكوك الغفران فإن كل تلال مدينة أنا بورج وهى مدينة فى مقاطعه سكونيا ستتحول إلى كتلة هائلة صافية وأنه ما أن يسمع رنين العملة فى الصندوق حتى تكون روح من دفعت الأموال من أجله فى طريقها إلى الجنة

وبلغت الوقاحة بهذا الراهب مداها حين قال أيضا مخاطبا الجماهير إن الرجل إذا ارتكب الخطيئة مع العذراء المباركة نفسها فهذه الصكوك كفيله بأن تمنحه الغفران الكامل ، وهكذا تردى الراهب فى هاوية سحيقه مالها من قرار ، وقد أثارت هذه التصريحات مكامن السخط فى نفس مارتن لوثر فتحرك لمهاجمة صكوك الغفران وقال لو علم البابا بأنواع الاغتصاب والإكراه والظلم الذى يمارسه وعاظه الفاسدون المرتشون لفضل رؤية كاتدرائية القديس بطرس وهى تلتهمها النيران وتصير إلى رماد بدلا من أن يراها مشيدة على جلود وعظام ولحوم رعاياه وقد حدد لوثر عدة أسس أو مبادئ لحركة الاصلاح الدينى التى دعا إليها وكان من بين هذه المبادئ

أولا : إخضاع رجال الدين للسلطة المدنية

ثانيا : ليس للبابا الحق فى احتكار تفسير الإنجيل

ثالثاً : إباحة الزواج للقسس ، وقد تزوج لوثر بالفعل بإحدى الراهبات

رابعا : إباحة الطلاق للمسيحيين

خامساً : عدم إنشاء أديرة جديدة وإلغاء عدد من الأديرة القائمة وتحويل نزلائها إلى الحياة المدنية ثم أعلن إلغاء الأديرة والرهبنة

(٢) انظر أوربا فى مطلع العصور الحديثه ص ٣٧٣ . ٣٧٤ ، ٣٧٨

المسألة الثالثة :

وقوف الكنيسة ورجالها ضد العلم (محاكم التفتيش)

لم تكتف الكنيسة ورجالها بإحتكار الدين وزعم التحريم والتحليل ، ولكن صاحب ذلك تدخلا مشيناً فى أمور الدنيا ومعارفها فقد تدخلوا فى كل صغيرة وكبيرة من شئون العلم والمعرفة يقول ويلز « ولم يقتصر تعصب الكنيسة على الأمور الدينية وحدها فإن الشيوخ المولعين بالأبهة السريعى الهياج الحقودين الذين من الجلى أنهم كانوا الأغلبية المتسلطة فى مجالس الكنيسة كانوا يضيقون ذرعاً بأية معرفة عدا معرفتهم ، ولا يثقون بأى فكر لم يصححوه ويراقبوه فنصبوا أنفسهم للحد من العلم الذين كانت غيرتهم منه بادية للعيان وكان أى نشاط عقلى عدا نشاطهم يعد فى نظرهم نشاطاً وقحاً ، وقد خاضوا بعد ذلك بقليل معركة عظيمة مدارها مسألة وضع الأرض فى الفضاء وهل هى تدور حول الشمس أو لا تدور ؟ ولم يكن هذا فى الحقيقة من شئون الكنيسة بتاتاً ، وربما كانت تُحسن صنعا لو أنها تركت للعقل ما للعقل من أمور ، ولكن يبدو أن ضرورة داخلية كانت تسوقها إلى تنفير ضمير الناس الفكرى منها » (١) هذه الضرورة هى الاحتفاظ بالمكاسب التى حصلوها وياليتهم كان عندهم علم أو معرفة ولكن على العكس تمتعوا بقدر كبير من الجهالة ، وعدم التقوى مما جعل الكثيرين يمقتون الكنيسة ورجالها ويتمنون الخلاص من سيطرتهما . بعد أن سيطر على الناس جهل مطبق وخلف سيطرة الكنيسة حالة من الجمود والخمول وكان من نتيجة – ذلك أن وجد نوع من السخط والتذمر أدى إلى الغليان والانفجار – خاصه بعد أن حدث تطور فى العقلية الأوروبية أدت إليه عدة عوامل منها الحروب الصليبية ، ومنها التأثر

---

(١) ويلز جـ ٣ ص ٩٠٥

بالمسلمين العرب الذين كانت لهم حضارة زاهره ومراكز علمية قريبة من أوربا

ولا شك أن الغرب قد استفاد فائدة كبرى عن طريق المعابر العربية الثلاث – صقلية وجنوب إيطاليا والأندلس وقد بلغ هذا الاحتكاك ذروته أثناء الحروب الصليبية الأمر الذى أدى إلى نقل العرب إلى الغرب التراث اليونانى القديم بالإضافة إلى دراساتهم التحليلية لعلم اليونان وفلسفتهم فكان من أهم آثار ذلك أن انتشر العلم وتفجرت ينابيعه وبدأ الناس يفيقون من غفوتهم التى دامت عدة قرون (١)

ولكن الكنيسة لم تكن لترضى عن أى نهضة تقوم فى المجتمع لأن من شأن هذه النهضة أن تقوض سلطان الكنيسة ، وأن تكشف جهلهم المطبق فى كافة الأمور الدينية والدنيوية – الأمر الذى حدا بالكنيسة لإنشاء محاكم التفتيش لأن الكنيسة لم تكتف بالوقوف ضد العلم وأصحابه من الناحية النظرية – بل أردفت القول بالعمل فقد أنشأت محاكم التفتيش كأداة تحقيق مستديمة تحت إدارة رجال الدين ، وبهذه الأداة نصّبتْ الكنيسة نفسها لمهاجمة الضمير الإنسانى بالعذاب والنار ، وعملت على إضعافه مع أنه مناط أملها الوحيد فى السيادة على العا لم (٢) كما يتمنى البعض لها .

يقول ويلز « وقبل القرن الثالث عشر لم تنزل عقوبة الإعدام إلا نادراً بالملاحدة والكفار فأما الآن فإن كبار رجال الكنيسة كانوا يقفون فى مئة ساحة من ساحات الأسواق فى أوربا ليراقبوا أجسام أعدائها . وهم فى غالبية الأمر قوم من الفقراء لا وزن لهم تحترق بالنار

---

(١) انظر تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها ص ٣٧٨ - ٣٧٩ د/ جوزيف نسيم دار المعرفة الجامعية ١٩٨٨م

(٢) نفسه ص ؟

وتخمد أنفاسهم بحالة محزنة .(١) وهؤلاء الذين قتلوا وحرقوا لا ذنب لهم ولا جريرة إلا أنهم صدعوا بآرائهم التى اعتبرتها الكنيسه مخالفة لما ذهبت هى إليه خاصة أنها تعدت حدودها ووضع رجالها نظريات ادعو لها القداسة واعتبروها من أصول الدين المسيحى التى يجب الاعتقاد فيها ونبذ كل ما يعارضها وكلما وصل العلماء إلى نظرية جديدة وجدوا الكنيسة تعارضها بنظرية مقدسة لا يجوز الخروج عليها حتى ولو أثبت الواقع المحس بطلانها (٢) وقد حفظ لنا التاريخ نماذج مروعة مما فعلته محاكم التفتيش مع أصحاب النظريات العلمية لم ير التاريخ أبشع منها إلا ما فعل بالمسلمين فى الأندلس قديما و ما فعل بالمسلمين بالبوسنة والهرسك والشيشان حديثاً !!!

أعلن جاليليو نظرية دوران الأرض حول الشمس فى مواجهة نظرية الكنيسة فى ثبات الأرض ودوران الشمس فأجبرته الكنيسة على إنكار قوله مدفوعة باعتقادها أن أى شك يحيط بأن الأرض مركز العالم ضربة قاتلة تزلزل سلطان المسيحية (٣) وأعلن « برنو » (٤) نظرية الأفلاك المتعددة بناء على الرؤية الواقعية بالمنظار فى مواجهة نظرية الكنيسة فى تحديد عدد معين من الأفلاك – فقامت قيامة الكنيسة وحكمت عليه بالقتل واقترحت ألا تراق قطرة من دمه وكان ذلك يعنى أن يحرق حياً ويقدر عدد الذين حكمت عليهم محاكم التفتيش بثلاثمائة ألف أحرق اثنان وثلاثون ألفا أحياء (٥)

وكانت الكنيسة – تتربص الدوائر بأصحاب الآراء التى تخالفها وكان

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية جـ ٣ ص ٩٠٩
(٢) انظر سعد الدين صالح – الأساليب الحديثة فى مواجهة الإسلام ص ١٥١
(٣) ويلز معالم تاريخ الإنسانية جـ ٣ ص ١٣٠٩ – ١٣١٠
(٤) هو جيوردانوبرونو) ١٥٤٨ – ١٦٠٠ إيطالى ولد فى مقاطعه نابولى أحرق حيا فى روما بسبب آرائه التى تخالف الكنيسة انظر معجم الفلاسفة جورج طرابيش ص ١٥٥ – ١٥٧
(٥) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٩٤

لا يعوزها إلصاق التهم بمن تريد به القتل . مثل ما حدث مع « دى روفيس » .
حيث كانت الكنيسة تشيع بين الناس أن قوس القزح هو قوس حربى بيد الله ينتقم به من عباده إذا أراد فأعلن « دى روفيس » أن قوس قزح ليست قوساً حربيا بيد الله ينتقم بها من عباده بل هى من انعكاس ضوء الشمس فى نقط الماء فجلب إلى روما وحبس حتى مات ثم حوكمت جثته ، وألقيت مع مؤلفاته فى النار – وقيل فى حيثيات الحكم عليه إنه أراد الصلح بين كنيستى روما الكاثوليكية ، وإنجلترا البروتستنتيه » ويعلق الشيخ محمد عبده على هذا بقوله « وأى ذنب أعظم من هذا العمل ؟ هو أضخم بلا ريب من ذنب القول بأن قوس قزح من إنعكاس ضوء الشمس فى نقط الماء » (١)

ولم تمارس الكنيسة سلطتها ضد أصحاب الآراء العلمية كما مر ، ولكن امتدت أيديهم إلى الذين ينادون بالإصلاح الدينى من داخل الكنيسة نفسها . وبدلا من الإقناع والمناقشة مع الذين صدعوا بالإصلاح داخل الكنيسة كان القمع والقتل والاضطهاد يقول ويلز « تخيرت الكنيسة طريق القسر والإجبار ، وهى التى واجبها الأوحد أن ترشد وتهدى » (٢) وينقل لنا نص القديس رومينيك إلى الهراطقة الذين جهد أن يهديهم إلى الطريق السوى فلم يجد الجدل فإذا به يهدد ويتوعد « قد نصحتكم سنين عديدة بلا جدوى باللطف والموعظة والرجاء والبكاء ولكن تبعاً للمثل القائل فى بلادى حيثما تفشل البركات عن إتمام أى شئ فمن الجائز أن تفيد اللكمات سنثير عليكم الأمراء والأحبار الذين سوف ويالأسف يسلحون الأمم والمماليك ضد هذه البلاد وبذا تفيد اللكمات حيث كانت البركات واللطف غير ذات جدوى » (٣) هذا التهديد

---

(١) الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية ص ٤٤ بتصرف .
(٢) ويلز جـ ٣ ص ٩٠٨   (٣) نفسه ص ٩٠٨

يكشف لنا عن رجل تغلى مراجل غيظه القتال لأنه فقد إيمانه فى قوة الصدق نظراً لأن صدقه الخاص لم ينتصر ، وقد أحرق أربعة من هؤلاء الهراطقة وهم أحياء لأنهم لا يرجى منهم صلاح (١)

ولم يقف الأمر عند حد حرق الأحياء وقتلهم بل امتد الغيظ إلى الأموات فنبشوا قبورهم وأحرقوا عظامهم . مثل ما حدث مع القديس ويكليف ١٣٢٠ - ١٣٨٤م الذى كان رجلا واسع العلم وكان له مؤيدون من نوى المراكز المرموقة وأتباع كثيرون من أفراد الشعب ، ولكن هذا كله لم يشفع له عند الكنيسة التى أمرت بسجنه إلى أن مات فى السجن ، ولكن الروح الخبيثة القديمة التى كانت تسوق الكنيسة الكاثوليكية إلى حتفها لم تكن لتسمح لعظامه بأن تستقر فى قبره فصدر قرار من مجمع كونستانس فى ١٤١٥م فنبس قبره وأخرجت عظامه وأحرقت وهو قرار نفذه الأسقف فلمنج فى ١٤٢٨م بأمر من البابا مارتن الخامس ، ولم يكن هذا الانتهاك لحرمة المقابر من عمل متعصب بمفرده بل كان عملا رسمياً أتته الكنيسة (٢)

هذه الروايات صادرة عن الأوربيين ومسطورة فى تواريخهم إن ما قامت به الكنيسة ورجالها ليتعارض تمام المعارضة مع ما هو موجود فى الأناجيل الحالية فما قتل المسيح أحداً ولا لطم وجها ولا سجن رجلا أو امرأة بل كانت دعوته قائمة على المسالمة وعدم الإيذاء ولكن الكنيسة التى ما عرفت قط تعاليم المسيح الصحيحه كانت تنتقم لرجالها وكما يقول « ويلز » بحق « لكن البابوات كانوا طوال قرون سلطانهم فى حنق مقيم ضد من تحدثه نفسه بأهون تأمل فى كفاية الكنيسة المذهبية » (٣) لقد صدر ذلك الاضطهاد من جانب الكنيسة

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية جـ ٣ ص ٩٠٧
(٢) نفسه جـ ٣ ص ٩٠٩ - ٩١٠
(٣) نفسه جـ ٣ ص ٩٠٥

ورجالها لأنها كانوا لا يحتملون أسئلة ولا يتسامحون فى مخالفة لا لأنهم على ثقة من عقيدتهم ولكن لأنهم كانوا غيرواثقين منها وكانوا يريدون ممن حولهم النزول على آرائهم لقد كان حتف الكنيسة ورجالها بسبب الأساليب التى ظنوا أن الأخذ بها سبب بقائهم ، وقد انهارت الكنيسة وقوض سلطان رجالها فى نهاية المطاف لأن صلف الكنيسة لم يوقف المسيرة العلمية بل على العكس ألحق العلماء بالكنيسة وعقائدها الهزيمة تلو الهزيمة وأصبحت أوربا لا دينية تقف بصرامة فى مواجهة النصرانية والأديان كلها ، وساد الاعتقاد بأن الفكر الدينى والفكر العلمى قضيتان متناقضتان الإيمان بأحدهما يستلزم حتمية الكفر بالآخر ، وهنا انتقل ميزان القوى من الكنسية إلى رجال الدولة والسياسة والعلم والذين حاولوا بكل ما استطاعوا إبعاد الدين ورجاله من مجال الحياة ، وقد انتهى الصراع بينهما بصيغة اتفاق بحيث يكون هناك تحديد للاختصاصات تختص الدولة بشئون السياسة والتعليم والتشريع، وتختص الكنيسة بشئون الأسرة ومراسيم الزواج وطقوس الموت والعبادات (١).

وهذا ما عُرف بالفصام النكد فى أوربا بين الدين والدولة أو بين الدين وسائر أمور المجتمع وهذ ما يحاول البعض تصوير تاريخ المسلمين وحكامهم وعلمائهم على أنه صورة من تاريخ أوربا ومن ثمَّ يريدون نقل ما حدث من الفصل بين الدين والدوله هناك - إلى فصل بين الدين والدولة هنا - ناسين طبيعة الدين هناك وطبيعته هنا وطبيعة رجال الدين فى أوربا ، وطبيعتهم فى المجتمعات الإسلامية .

---

(١) انظر بتصرف العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق ص ٦ .

المسألة الرابعة

ظهور العلمانية وتطورها

بعد الذى عرضناه من الأسباب التى كبلت العقول وسيطرت على البلاد والعباد وضربت بيد من حديد على أصحاب الفكر وغيرهم – نشأت العلمانية التى تعنى فصل الدين عن الدولة كرد فعل لتسلط الكنيسة ورجال الدين فى أوربا ، وإقحامهم الدين فى كل صغيرة وكبيرة من شئون الحياة على الرغم من عدم اهتمام المسيحية بشئون الدنيا على نحو ما تصرح به الأناجيل المتداولة عند النصارى وفضلا عن ذلك فقد أذاقت الكنيسة ورجالها كل صاحب فكر سوء العذاب فقد كانت محاكم التفتيش تقوم بدور كبير من البطش والتعذيب والإرهاب لكل من يخالف الآراء الكنسية آنذاك إن فى العلم أو فى الدين كما مر بنا (١) ومع بداية يقظة العقل الأوربى تبين له أن طريق النهضة مرتبط بإقصاء الدين الذى شقوا بسببه عن حكم الدنيا وقيادة حركة الحياة والمجتمع وبدأ الأوربيون بتقوية الاعتقاد بقدرة وقيمة العقل فى مقابل سلطة النقل التى كانت سائدة فى العصور الوسطى (٢) ثم تطور الأمر بعد ذلك وظهرت نزعات أخرى لا تكتفى بفصل الدين عن الدولة فحسب وإنما تستغنى عن الألوهية وتكتفى بالحياة الدنيا وحدها وساعدها على ذلك حركة الكشوف الجغرافية التى وصل إليها « كولمبس » و« فاسكو دى جاما » وقد أتو بمعلومات جديدة تفيد أنه توجد شعوب كثيرة كانت بمعزل عن المسيحية وكانت لها أديان وأخلاق ، وعلى إثر ذلك تكونت فى الغرب المسيحى نظرية

---

(١) لمزيد من التفصيلات انظر الإسلام والنصرانية الشيخ محمد عبده والصراع بين الدين والفلسفة ففيهما نماذج متعددة للصراع بين الكنيسة ورجالها وأصحاب الفكر والعلم

(٢) العلمانية النشأة والأثر ص١٣ / ١٤ زكريا فايد الزهراء للإعلام ١٩٨٨م

(٣) تاريخ الفلسفة الحديثه ص٦ – دار المعارف

جديدة فى الإنسان تقنع بما يسمى بالطبيعة وتستغنى عما فوق الطبيعة كأنها تقول لله نشكرك اللهم على نعمتك ولكنا بغير حاجة إليها (١)

وقد ساهمت الحركات الإصلاحية التى قامت فى عصر النهضة والتى أشرنا إلى طرف منها مثل حركة مارتن لوثر ١٤٨٣ / ١٥٤٦ م وكلفان ١٥٠٩ /١٥٤٧م فى تعزيز الاتجاه المنادى بإبعاد الدين عن الحياة وشئونها وهذا ما دعا « فيلستى دى لا من » ١٧٨٢ / ١٨٥٤ م إلى القول بأن عدم المبالاة بالدين راجع إلى « البروتستانتية » التى ابتدعت فكرة الفحص الحر والثقة بالعقل الفردى فبلبلت الأفكار وزعزعت مبدأ السلطة فى الدين والاجتماع فانزلقت العقول من البدع فى الدين إلى المذهب الطبيعى الذى يقيم الإيمان بالله وبخلود النفس والحرية والثواب والعقاب على حجج عقلية ، ولما أدركت وهن هذه الحجج ورأت تناقض العقل انتهت إلى الإلحاد فى الدين والشك فى العقل فانهارت أسس الأخلاق.(١) فى هذا الوقت بدأت الكنيسة يتقوض سلطانها تحت معاول الاكتشافات الحديثة وتفجر العقلية الأوربية – وظلت هذه النزعات الرافضة للدين تتطور فى أوربا وتتشعب حتى تغلغلت فى كل الميادين سواء من الناحية الفكرية والأدبية أو السياسية والقانونية أو الأخلاقية والاجتماعية والمعرفية (٢) وكانت العلمانية هى المحور الذى ترتكز عليه هذه الاتجاهات التى ترفض الدين بالكلية وتنكر وجود الله وسائر الغيبيات فظهر من يرى أن الدين لا ينبغى أن يكون له وجود أصلا ودعا إلى هذا صراحة « فرنسيس بيكون ١٦٢٦ م ، وهوبز ١٥٨٨ / ١٦٧٩ م وجون

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٣١٢

(٢) أسس الفلسفة ص ٢٤٤ وانظر عصر الإلحاد محمد تقى الأمينى الندوى ص ٥٥ / ٦٣ نشر دار الصحوة

انظر أفكار هؤلاء الفلاسفة فى الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ٣٩٠ وتاريخ الفلسفة الحديثة ص ١٥١ وأسس الفلسفة ص ٢٣٩ . تاريخ الفلسفة الحديثه ص ١٩٢ – ١٩٣

لوك ١٦٣٢ / ١٧٠٤ ، وديفيد هيوم ، ودولباك للفرنسى ١٧٢٣ / ١٧٧٩م ، ولا متری ۱۷۰۹ / ۱۷۵۱ م فقد ذهب هؤلاء جميعا إلى أن العالم مدبر بالقوانين الطبيعية لا بالعناية الإلهية (١)

وقد عبر وجست كونت عن هذه الاتجاهات فى وضعيته المتطرفة حيث ذهب إلي أن الدين كان مرحلة من مراحل البشرية وانتهت تلك المرحلة ولا ينبغى أن تعود ومع حلول القرن التاسع عشر ،صبغت العلمانية كل مظاهر الحياة فى أوربا إن فى السياسة والحكم أو فى الاجتماع والأخلاق أو فى التعليم والثقافة ، وكل مظهر من تلك المظاهر يعضد الآخر ويسانده فى إبعاد الدين إما جملة وتفصيلا عن الناس وحياتهم وإما بفصله عن الدولة وحصره فى دائرة ضيقة من العلاقات الشخصية كالزواج والطلاق وطقوس الموت أو كما يقول الدكتور محمد البهى « تختص الدولة بشئون السياسة والاقتصاد والتعليم والتشريع والحرب والسلم .

وتختص الكنيسة بشئون الأسرة ومراسيم الزواج وطقوس الوفاة والعبادات » (٢) ، وهو الحاصل الآن فى أوربا وكثير من دول العالم .

وينبغى أن نشير إلى أن تمسك أوربا بالدين الآن مثل قيام أوربا وأمريكا بالانفاق على التنصير وإرسالياته فى العالم فالهدف منه أولا مقاومة الإسلام وثانيا تحقيق أهداف سياسية واقتصادية وثالثا : هو نوع من التسلية والتغيير عند بعض الأفراد والجماعات إذا استثنينا ما يطلق عليه الأصولية المسيحية فتلك لها أغراض أخرى - لا مجال للحديث عنها هنا (٣)

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٣٠٧

(٢) العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق ص ٦ بتصرف .

(٣) انظر التصور اليهودى للمسيح وعلاقته بالتقارب المسيحى اليهودى المعاصر بحث منشور فى حولية كلية أصول الدين بطنطا ١٩٩٣ م للباحث

ولكن يبقى التعلق بالدنيا هو الشغل الشاغل لجمهرة الناس بعيدا عن الدين وتعاليمه .. في أوربا وأمريكا .

وكما يذكر الأستاذ محمد أسد في كتابه « الإسلام على مفترق الطرق »

« لا شك أنه لا يزال في الغرب أفراد يعيشون ويفكرون على أسلوب ديني ويبذلون جهدهم في تطبيق عقائدهم بروح حضارتهم ولكنهم شواذ إن الرجل العادي في أوربا ديمقراطيا كان أوفا شيأ رأسماليا أو اشتراكيا عاملا باليد أو رجلاً فكريا إنما يعرف ديناً واحداً هو عبادة الرقي المادي ، والاعتقاد بأنه لا غاية في الحياة غير أن يجعلها الإنسان أسهل وبالتعبير الدارج « حرة مطلقة » من قيود الطبيعة أما كنائس هذا الدين فهي المصانع الضخمة ، ودور السينما ، والمختبرات الكيماوية ودور الرقص ، ومراكز توليد الكهرباء ، وأما كهنتها فهم رؤساء المصارف والمهندسون ، والممثلات وكواكب السينما وأقطاب التجارة والصناعة والطيارون والمبرزون الذين يضربون رقما قياسيا نتيجة هذه النهامة للقوة بإبادة بعضها بعضا إذا تصادمت أهواؤها ومصالحها أما في جانب الحضارة فنتيجتها ظهور طراز للإنسان يعتقد الفضيلة في الفائدة العملية ، والمثل الكامل عنده والفارق بين الخير والشر هو النجاح المادي لا غير » (١) وأضيف أن الطريق الذي اختارته أوربا من فصل الدين عن الدولة أو إبعاده بالكلية نتج عنه حياة ممزقة أنتجت الانتحار والإدمان والإيدز وسائر ما نسمع عنه من أمراض الحضارة المعاصرة .

---

(١) نقلا عن كتاب الاستاذ أبو الحسن الندوي ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٢٥٨ بتصرف

تعقيب وتقويم حول :-

دوافع قيام العلمانية فى الغرب

أولاً : إذا كانت أوربا قد تشكل فيها ما يسمى « بالإكليروس » (١) أى رجال الدين - الذين يشكلون واسطة بين العبد وربه فإن الإسلام لم يعرف هذا الصنف من البشر والقرآن الكريم يركز على التوحيد الخالص الذى لا يشوبه شائبة - ومن ثم كان على المسلم إذا دعا أن يتوجه إلى الله وأن لا يجعل أحداً من خلق الله واسطة بينه وبين الله يقول سبحانه **« وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون »** (٢)

وإذا أخطأ الإنسان فعليه أن يتوجه فى توبته إلى الله يقول سبحانه **« والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون »** (٣) ونعى القرآن الكريم عن صرف العبادة لأحد من البشر كائنا من كان يقول سبحانه **« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكمة والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون »** (٤)

يقول ابن كثير فى تفسيرها أى ما ينبغى لبشر آتاه الله الكتاب والحكمة والنبوة أن يقول للناس اعبدونى من دون الله أى مع الله فإذا كان

---

(١) إلكليروس : لفظ يطلق على خدمة الدين عند النصارى سموا بذلك إشارة إلى كونهم قسم الرب أو ميراثه كما كان سبط لاوى فى موس ميراثا للرب وهذا أحد تعريفاتها انظر دائرة المعارف للبستانى جـ٤ ص ١٤٦

(٢) سورة البقرة الاية ١٨٦

(٣) سورة آل عمران الآية ١٣٥

(٤) سورة آل عمران ٧٩ / ٨٠

هذا لا يصلح لنبى ولا لرسول فلأن لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأحرى – وذلك لأن أهل الكتاب كان يعبد بعضهم بعضا كما قال الله تعالى « **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله** » (١) وفى المسند والترمذى أن عدى بن حاتم قال « ما عبدوهم » قال « بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم » (٢)

فهل وجد فى المجتمع الإسلامى من زعم لنفسه سلطة التحريم أو التحليل أو غفران الذنوب أو كتابة صك غفران لأحد المذنبين من المسلمين ؟ – لم نسمع عن هذا – والعلمانيون على كثرة مشاغبتهم لم يستدلوا بنموذج واحد مما وجد عند الأوربيين فى القرون الوسطى والذى كانت تسانده الكنيسة .

ثانياً : أما أخذ أموال الناس بغير حق وكنز الذهب والفضة وما صاحب ذلك من ترف رجال الدين فى أوربا .

فإن الإسلام يحذر المؤمنين عامة من عدم أكل الأموال بالباطل يقول سبحانه « **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون** » (٣)

ويقول سبحانه « **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما** » (٤) هذه الآيات تبين أن الأموال لها حرمة لا يحق لأحد أن يستحلها بدون وجه حق – ولذلك نعى الله على أهل الكتاب الذين يأكلون أموال الناس بالباطل – خاصة الأحبار منهم والرهبان يقول تعالى « **يا أيها الذين آمنوا**

---

(١) سورة التوبة الآية : ٣١ .

(٢) انظر تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٧٧ طبعة عيسى البابى الحلبى . والحديث أخرجه الترمذى فى كتاب التفسير ٥ / ٢٧٨ وحسنه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى ٣ / ٥٦

(٣) سورة البقرة الآية ١٨٨

(٤) سورة النساء الآية ٢٩

إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله » (١)

وقد نزلت هذه الآية منذ أربعة عشر قرنا - قبل أن تفكر أوربا فى الثورة على الإقطاع خاصة عند رجال الدين (٢)

وفى حجة الوداع كانت الأموال لها مكانة خاصة فى تلك الخطبة يقول ﷺ « فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا » (٣)

والصدقات وأنواع الزكوات المختلفة لاتدفع إلى العلماء وإنما تدفع إلى ولى الأمر - يتصرف فيها بما حدده الله فى قوله تعالى « **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم »** (٤)

ثالثا : أما العلم والتشجيع عليه فقد أخذ عدة مسارات كلها تحث عليه وتشجع على طلبه الشرعى منه والذى يخدم الإنسان ويهيئ له عمارة الأرض ونبدأ بكتاب المسلمين الخالد وهو القرآن الكريم يقول سبحانه « **اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم »** (٥)

ويقول عز وجل « **وقل رب زدنى علما »** (٦)

ويقول جل جلاله « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب »** (٧)

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٤

(٢) انظر العلمانية د/ سفر الحوالى ص ٦٦٢

(٣) الحديث أخرجه البخارى عن ابن عباس كتاب الحج باب الخطبة أيام منى جـ ٢ ص ٦١٩

(٤) سورة التوبة الآية ٦٠ سورة العلق الآية ١ - ٥

(٥) سورة طه الآية ١١٤ (٦) سورة الزمر الآية ٩

(٧) سورة آل عمران الاية ١٨

ويبين فضل العلماء فيقول « **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم** » (١) يقول ابن كثير وهذهْ خصوصية عظيمة للعلماء فى هذا المقام » (٢)

ويقول سبحانه « **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** » (٣) ثم تأتى الآية الجامعة الشاملة للحث على طلب مختلف أنواع العلوم يقول سبحانه « **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرج به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور** » (٤)

إن الخشية بقدر معرفة الله والعالم يعرف الله فيخافه ويرجوه وهذه دليل على أن العالم أعلى درجة من العابد لأن الكرامة بقدر التقوى .

والتقوى بقدر العلم ، والعلماء هم الذين يتدبرون هذا الكتاب العجيب ومن ثم يعرفون الله معرفة حقيقية يعرفونه بآثار صنعته ويدركونه بآثار قدرته العلماء به علماً واصلا علماً يستشعره القلب ويتحرك به (٥)

والآية تحتوى على علم الفلك وعلوم الزراعة وعلوم طبقات الأرض وعلوم الإنسان وعلم الحيوان - وكل علم من تلك العلوم حث عليه القرآن والأصل فى العلم أن يقرب العالم من الله ويجعله أكثر الناس خشية له سبحانه وللقارئ أن يقارن هذه الآيات التى تحث على طلب العلم وتبين فضل العلماء - بما وجد عند الأوربيين قبل النهضه ليرى الفرق الشاسع والبون البعيد وأن جميع

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ٣٥٣

(٣) سورة المجادلة الآية ١١

(٤) سورة فاطر الآية ٢٧ - ٢٨

(٥) انظر التفسير الكبير للرازى جـ١٢ ص ٢١ ، ظلال القرآن جـ٥ ص ٢٩٤٣

المبررات التى حدثت للفصل بين الدين والدولة لا مبرر لها فى المجتمع الإسلامى أما عن نمو الحركة العلمية فى البلاد الإسلامية - فحدث عنها ولا حرج يقول أحد المؤرخين « ولا شك أن الغرب قد استفاد فائدة كبرى عن طريق صقلية وجنوب إيطاليا والأندلس . وقد بلغ هذا الاحتكاك ذروته أثناء الحروب الصليبية التى امتدت من أخريات القرن الحادى عشر حتى أخريات القرن الرابع عشر فكانت مصر والشام هما مراكز الإشعاع الثقافى الرابع الذي نهل منه الغرب ، وعن طريق مراكز الإشعاع الثقافى هذه نقل العرب إلى الغرب التراث اليونانى القديم بالإضافة إلى دراساتهم التحليلية لعلم اليونان وفلسفتهم فكان من أهم آثار ذلك أن انتشر العلم وتفجرت ينابيعه ، وبدأ الناس فى الغرب يفيقون من غفوتهم التى دامت عدة قرون »(١) وهذا التأثر من جانب الأوربيين ليس مجال مزايدة من أحد فالوثائق تذكر أن ملك انجلترا أرسل ابنة شقيقه لتنهل من علوم العرب وثقافة المسلمين فى الأندلس ، وقد أرسل مع ابنة شقيقه رسالة إلى هشام الثالث الخليفة فى الأندلس - هذا نصها « من جورج الثانى ملك انجلترا والغال والسويد والترويج إلى الخليفة ملك المسلمين فى مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام

بعد التعظيم والتوقير فقد سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الصافى معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العامرة فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج من هذه الفضائل لتكون بداية حسنة فى اقتضاء أثركم لنشر أنوار العلم فى بلادنا التى يسودها الجهل من أركانها الأربعة وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة « روبانت » على رأس بعثة من بنات أشراف انجلترا لتتشرف

---

(١) انظر تاريخ العصور الوسطى وحضارتها ص ٢٧٩ - تناولت الكثير من إسهامات المسلمين فى العلوم التجريبية فى كتابنا نشأة الدين والتدين بين التوحيد والتطور ص ٢٢١ - ٢٣

بلثم أهداب العرش ، والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة ، وحدب من اللواتي سيتو فرن على تعليمهن ، ولقد أرفقت مع الأميرة الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص » من خادمكم المطيع جورج . م . أ (١)

فهل الدين الإسلامى الذى حث على العلم وكانت أوربا تلهث للظفر ببعضه – يعامل مثل الدين (٢) الذى وقف ضد العلم ورجاله ؟ وهناك من العلمانيين من لا يعجبه هذا الطرح ويقول أنتم دائما تتحدثون عن الماضى ولكن ما هو الوضع العلمي للمسلمين الآن ؟ ونحن نقول إن هناك سبب ونتيجة فإذا تحقق السبب ظهرت النتيجة بمعنى أن تفوق المسلمين العلمى قديما كان سببه المباشر التمسك بالإسلام وتعاليمه – فإذا عاد المسلمون وتمسكوا بدينهم تحققت النتيجة – وتفوقوا وكان عندهم الاستعداد للابتكار والنبوغ .

ولو أن الذين ينادون بالنموذج العلمانى فى البلاد الإسلامية أخلصوا النية ورجعوا إلى الله وشغلوا أوقاتهم وسخروا أقلامهم ومؤلفاتهم لدعوة المسلمين إلى الأخذ بالمنهج العلمى وذكروهم بأمجاد أسلافهم فى المجالات العلمية – وصرفوا طاقتهم العلمية والذهنية للاجتهاد وإنزال الأحكام على الوقائع لكان لناشأن آخر – ولكنهم بدلاً من أن يفعلوا ذلك راحوا يكيلون الاتهامات للمسلمين والحكم الإسلامى – صارفين جهدهم وتفكيرهم للأخذ بالنموذج الغربى – ضاربين بمقومات الأمة وذاتيتها عرض الحائط .

---

(١) نقلا عن كتاب (كوا شف زيوف فى المذاهب الفكرية المعاصرة – للأستاذ عبد الرحمن حبنكة الميدانى ص ٤٠ – ٤١ بتصرف

(٢) الدين المقصود به هنا ليس دين عيسى عليه السلام الصحيح وإنما السائد فى أوربا بعد التحريف والتبديل .

المبحث الخامس : مع العلمانيين فى ديار الإسلام عرض شبهات ودحض مفتريات

تمهيد

بعد الذى قدمناه من ظروف نشأة العلمانية فى الغرب والدوافع والعلل التى أدت إليه يحاول البعض أن يدعو إلى العلمانية بمعنى فصل الدين عن الدولة - فى بلاد الإسلام ناسين أو متناسين أن ما يصلح لأوربا وطبيعة دينها لا يصلح للمسلمين للفرق الكبير بين طبيعة الدينين - ولكن دعاة العلمانية ينطلقون من فكرة فصل الدين عن الدولة وهى فكرة رددها الشيخ على عبد الرازق فى كتابه الإسلام وأصول الحكم ثم تراجع عنها كما يذكر الدكتور " محمد عمارة " فى " كتابه الإسلام والسياسة " وهاهم دعاة العلمانية مازالوا يرددونها على الرغم من بطلانها وقيام كبار رجال العلم بالرد عليها وضحدها وللأزهر موقفه من هذه القضية .

يقول أحدهم « أنا أقول إن محتوى ما أطرحه هو فصل الدين عن السياسه والحكم وليس عن الدولة ولتسم هذا علمانية أو عقليه »« أو مهلبية » هكذا يذكر بالنص -

ويقسم الاتجاهات الفكرية فيقول « هناك اتجاه علمانى يفصل بين الدين والدولة باعتبار أن الدين لله والوطن للجميع بكافة أديانهم ومذاهبهم واتجاه سلفى طائفى غيبى لا يؤمن ولا يعترف إلا بأحكام شريعته ومذهبه (١)

هكذا يضع القسمة ؟ ونرى هؤلاء العلمانيين يهاجمون علماء الدين ورموز الأزهر إذا حاولوا تصحيح المفاهيم ورد الأمور إلى نصابها خاصة فيما يتعلق بقضية فصل الدين عن الدولة - يقول الدكتور فرج فودة مخاطبا

---

(١) انظر الطائفية إلى أين د/ فرج فودة واخرين تهافت العالمانية للدكتور صلاح الصاوى ص ١١ وحوارات حول الشريعه لأحمد جودة ص ١٨

الإمام الأكبر شيخ الأزهر « إحمد الله يا شيخ الأزهر على العيش الهنى والطعام المرئ واذكره واشكره كثيرا على تخلف المسلمين لأنه الحافظ لمنصبك ولا تتخيل للحظة واحدة أن أحداً سوف يسمح لك برئاسة محاكم تفتيش وبالاتهام والقمع وبالتهديد والمنع واصمت نصمت ، وكف نكف لأنك إن عدت عدنا وإن قلت زدنا واقرأ عافاك الله قبل أن تكتب » (١) هذا ما ذكره الدكتور فرج فودة رداً على الشيخ جاد الحق على جاد الحق لأن الإمام الأكبر هاجم فكرة فصل الدين عن الدولة والذين ينادون بها فى ديار الإسلام على اعتبار أنها دعوة إلى حل ليست له مشكلة فى عالم الإسلام » (٢)

وتبعاً لما ينادى به هؤلاء العلمانيون فإن عندهم حرص لا مثيل له على النبش فى التاريخ الإسلامى واستخراج الحالات الشاذة من بعض تصرفات الحكام لكى يبرهنوا بتلك النماذج على أن تاريخ الإسلام هو تاريخ أوربا وبالتالى يجدون المبرر لما يدعون إليه من فصل الإسلام عن شئون الحكم والمجتمع يقول الإمام الأكبر شيخ الأزهر « وحتى يموه العلمانيون على الناس شذوذ دعوتهم هذه نجدهم يشوهون صورة الإسلام ، والتاريخ الإسلامى حتى يصبح تاريخ الإسلام والخلافة الإسلامية كهانة كهانة وكهنوتاً وكأنهم بهذا التمويه يفتعلون مشكلة ليفتعلوا لها حلاً ، وذلك بدلاً من الاعتراف بتميز الإسلام عن غيره وتميز المسلمين السياسى عن كهانة وتاريخ الغرب ، وحكم كنيسته بما عرف لديهم « بالتفويض والحق الإلهى » (٣)

وسوف نعرض بعض شبهاتهم فى التدليل على أن النموذج العلمانى هو الأمثل فى التطبيق فى العصر الحاضر .

---

(١) جريدة الأهالى ٢٣ مارس ١٩٨٨ م

(٢) مقدمة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لكتاب الإسلام والسياسه د/ محمد عمارة ص ٧

(٣) مقدمة شيخ الأزهر جاد الحق لكتاب الاسلام والسياسة ص ٧ .

المسألة الأولى : شبهة أن الحكم الإسلامي قد فشل تطبيقه وأنه في كل العصور قام على الاستبداد

يقول الدكتور فرج فودة « إن تاريخ المسلمين ليس له علاقة بالإسلام بيت المال الذى يتحكم فيه الخليفه ولا معقب لحكمه . هل هذا هو روح الإسلام » ويرى أن الشريعة لم تطبق فى عهد الخفاء الراشدين إلا فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأن البيعة للخلفاء مؤبدة لإحدى الحنيين الموت أو القتل » (١)

وينتهى كثير من العلمانيين إلى نفس النتيجة إذ يرون أن العلمانية هى الأنسب فى التطبيق اليوم لأنها تقوم على مبدأ الفصل بين السلطات ويرون أنه فى النظم البرلمانية يمكن محاسبة رئيس الدولة ومحاكمته وعزله وهذا لا يتحقق فى مجتمع يقوم على الالتزام بالشريعة الإسلامية لعدم الفصل بين السلطات فإذا أساء الحاكم فلا توجد جهة رسمية عليا تحاسبه ويكون مصير العلماء والمفكرين مرهوناً بمزاجه كماسجن ابن تيمية وعذب أحمد بن حنبل (٢) ، ويضيف الدكتور فؤاد زكريا بأن التجارب التاريخية لم تكن إلا سلسلة طويلة من الفشل إذ كان الاستبداد هو القاعدة والظلم هو الأساس فى العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، والعدل والإحسان وغيرها من مبادئ الشريعة لا تعدو أن تكون كلاماً لتبرير أفعال حاكم يتجاهل كل ماله صلة بهذه المبادئ ، وينكر على الذين يستشهدون بعهد الخلفاء الراشدين

---

(١) انظر ما قاله فى المناظرة التى تمت فى نقابة المهندسين بالاسكندرية ونصها فى كتاب تهافت العالمانية ص ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - جمع وتعليق د / صلاح الصاوى .

(٢) انظر الحقيقة والوهم فى الحركة الإسلامية المعاصرة - وسلسلة المقالات فى جريدة الأهرام ٢٩ / ٧ ، ٥ / ٨ ، ١٦ / ٩ ، ٢٣ / ٩ من عام ١٩٨٥ وانظر فى تفنيدها العلمانية بين الخرافة والتخريب ص ١٠٠ / ١٠٢

وفــترة عمربن الخطاب فيقول « ألا فليعلم هؤلا الدعاة الأفاضل ان عمر ابن الخطاب شـخصـيـة فذة وفريدة ظهرت مـرة واحـدة ولن تتكرر فلمـاذا يداعبون أتباعهم بالأمل المستحيل (١)

وسوف نفند هذه المزاعم لنبين أن العلمانية والدعوة إليها فى بلاد الإسلام نبـتة خبيثـة لامكان لهـا فى ديار الإسـلام وإن صلحت فى أوربا – للخـلاف الكبـيـر بين الدين ورجـاله الذين حكمـوا فى أوربـا ، والإسـلام الذى أطلق العنان لكل ماهو نافع ومفيد حاثاً على العلم والخير أينما وجد

الرد على هذه الشبهة :

أولاً : أن الذين وقع منهم الاستبداد إذا صح هذا منهم فهم مخـالفون لأوامر الله عز وجل ولأوامر رسوله ﷺ ومن ثمَّ فوزرهم يقع عليهم فقط لأن نصوص الإسلام تقف ضد الجور والطغيان أيا كان مصدره

ثانيـاً : إن أى تجـاوز فى استـغـلال السلطة لا ينبـغى أن ينسـحب على الإسـلام وتعاليمه ففرق بين الإسلام كعقيدة وشريعة وبين خطأ البعض فى تطبيق هذه الشريعة فى بعض الأوقات

لأنه إذا كانت الفكرة قد طبقت ونجحت ولو لفترة محدودة كما يزعم دعاة العلمانيـة – فـإن هذا يعنى صـلاحيتـهـا للتطبـيق حـالاً ومسـتقبـلاً لأن الخلل يرجع إلى سوء التطبيق لا إلى النظام نفسه – وهذه الفكرة بالرغم من كونها بدهية إلا أنها تتحول وللأسف عند العلمانيين إلى لغز غارق فى الضباب ثم لماذا يطلب العلمـانيون من النظام الإسلامى مالا يطلبـون من غيره من النظم الحـاكمـة ؟ ولماذا يرفضـون نظامـاً قـدم آلاف النمـاذج التى يسـتحيل تقديم غيرهـا من غيره من أنظمة الحكم ؟ (٢)

---

(١) انظر نص كلامه فى مناظرته مع الدكتور محمد عمارة والدكتور سليم العوا فى كتاب تهافت العالمانية ص ٧١ / ٧٢ جمع وتعليق د / صلاح الصاوى .

(٢) انظر العلمانية بين الخرافة والتخريب ص ١٠٨ / ١٠٩ .

ثالثاً : أن عهد الخلفاء الراشدين كان هو المثل الأعلى فى تطبيق تعاليم الإسلام وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن الإسلام ونظامه فى الحكم ليس مثاليات غير قابلة للتطبيق فى عالم الواقع مادام قد أمكن تطبيقها بالفعل وهناك أمر آخر أنه مادام الذين طبقوها كانوا بشراً لاملائكة ففى طوق البشر إذن أن يطبقوها فى أى فترة من فترات التاريخ إذا عزموا على ذلك وأجمعوا أمرهم عليه ، وقد وجدت بالفعل نماذج غير قليلة من التطبيق الصحيح لهذا الدين على مدار التاريخ فلا شئ يمنعنا اليوم من محاولة ذلك ولن يكون الإسلام هو العائق لنا إذا حاولنا بل سيكون الدين بأصوله المنزلة وصوره المشرقة حين طبق تطبيقا صحيحاً هو الدافع والحافز والمعين (١)

رابعاً : من أهواء العلمانيين أن يطلبوا أن تكون كل عصور التطبيق ذهبية أو أن يكون النظام فاشلاً . إن العلمانيين يغمضون أعينهم عن الفترة الذهبية فى تطبيق الشريعة ثم ينظرون إلى سوء التطبيق فى فترة أخرى ، ويخلصون من هذا النظر إلى أن النظام ذاته لايصلح للتطبيق اليوم وهذا منطق الهوى لا منطق البحث عن الحقيقة (٢)

على أن مقولة العلمانيين أن شخصية عمر ظهرت مرة واحدة ولن تتكرر هذه المقولة غير صحيحة علمياً ودينياً .

فمن الناحية العلمية يجب أن نعترف بموضوعية السبب والنتيجة وأنه كلما حصل السبب كان لابد للنتيجة أن تحصل وليس فى الأمر خصوصية فرد أو معجزة عصر – كان أجدر بالعلمانيين ألا يلجأوا إلى هذا القول لو أخلصوا لمنهجهم العلمى ، لأن النظرة العلمية تسجل الظاهرة

---

(١) العلمانيون والإسلام ص ٦٤ / ٦٥

(٢) انظر جريدة الأهرام صندوق الدنيا لأحمد بهجت ٢٧ / ٩ / ١٩٨٥ م

النبحث عن اسبابها ولا نغلق باب البحث بمقوله حادثه حصلت مره واحده ولن تتكرر

إن النظام الإسلامى لم يكن مجرد حادثة عابرة ولكنه كان عصراً إنسانيا وأجيالاً بشرية عاشت على أرض الواقع كان السبب فى ظهورها النظام الإسلامى

أما خطأ هذه المقولة من الناحية الدينية فإنه ليخطئ من ينظر إلى البيئه الإسلامية التى أثمرت أمثال أبى بكر وعمر باعتبارها مرحلة معجزة خارقة للعادة والسنن فهو من ثمَّ يعزلها عن مجرى التاريخ وينزع عنها ضوء القدوة ويحرم الإنسانية من التطلع إلى إنجاز مثلها (١) ثم إن النظر إلى هذه الفترة بتلك النظرة العلمانية يترتب عليها – توقيف العمل بآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ – من هذه الآيات – قوله تعالى

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (٢)

وقوله تعالى :**« وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً »** (٣)

وقوله تعالى **« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً»** (٤)

خامساً : أنه بالرغم من حدوث تراجع من بعض الحكام عن أحكام الشريعة فإن الشريعة نفسها كانت تطبق وكان الحكام يطبقون أنظمة

---

(١) العلمانية بين الخرافة والتخريب ص ١١ - ١٧١

(٢) سورة آل عمران الآية ١١

(٣) سورة البقرة الآية ١٤٣

(٤) سورة المائدة الآيه ٣

الإسلام فى الناحية الاجتماعية . والاقتصاديه . والتعليميه . والسياسة الداخلية والخارجية وإذا حدثت إساءة فى تطبيق بعض تفصيلات نظام الإسلام فلا يعنى هذا عدم وجوده - حيث أن المسلمين لم يرتضوا بغير الإسلام نظاماً لهم كما لم يستوردوا نظاماً ولم يسمحوا بدخول نظام أجنبى بل لم يترجموا أى نظام للحكم فى الوقت الذى ترجموا فيه الفلسفات الأجنبية والعلوم والمعارف

وفى السياسة الخارجية كانت علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول قائمة على أساس الإسلام فأحكام المعاهدات والجهاد وسائر الأعمال السياسية كانت تستنبط من أدلة الشرع ، وقد خلف العلماء ثروة هائلة من الأفكار الإسلامية فى هذه الناحية وغيرها (١)

سادساً : أن العلماء الذين ذكرهم العلمانيون وزج بهم الحكام إلى السجون دليل على العلمانيين لالهم - لأن الأمة ممثلة فى علمائها لم تسكت على الظلم والجور وإنما تحدثوا مع حكامهم - ناصحين إياهم ومحذرين لهم من غضب الله إن هم استمروا على غيهم وظلمهم . وماموقف العز بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء من الملك الصالح اسماعيل - إلا مراعاة لجناب الله ونزولاً على أمره فى القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر - وما موقف ابن تيمية من غازان التترى » (٢) إلا قياماً بهذا الواجب (٣) وغيرهم الكثير والكثير من العلماء الذين يعتبر عملهم

---

(١) الاسلام بين العلماء والحكام ص ١٧/١٨/١٩/٢٠ عبد العزيز البدرى المكتبة العلمية عام١٩٦٦ م

(٢) نفسه ص ٧٤ / ٨٠ وانظر تهافت العالمية ص ٨٢ د / صلاح الصاوى انظر الاسلام والسياسة - محمد عمارة ص ١٨٢ / ١٨٣

(٣) أشبعنا هذا الموضوع بحثاً فى بحثنا (الديمقراطية رؤية إسلامية) نشر حولية أصول الدين بطنطا عام ١٩٩٨ م فانظره للأهمية

شهاده للإسلام . وان الانحراف عن تعاليمه يؤاخذ صاحبه ولا يعود المؤاخذة على الإسلام ، ولكن العلمانيين لا يريدون ذلك تعصباً وإعراضاً عن الحق بعدما تبين لهم .

سابعاً : إن الذين يقولون بأن العلمانية هي الأمثل في الحكم لأنه في ظلها يمكن محاسبة رئيس الدولة – إن هذه الحجة كما يقول المستشار البهنساوي ولدت ميتة لأن النظم البرلمانية هي التي لا تخضع رئيس الدولة للمحاكمة أمام القضاء كما تدل على ذلك الدساتير التي أخذت بمبدأ المحاكمة فإنها تجعل له محكمة خاصة وإجراءات خاصة بينما الإسلام يعتبر أن رئيس الدولة فرد كسائر أفراد الشعب كما هو ثابت في جميع المصادر التاريخية أما الفصل بين السلطات فهو مبدأ شرعه الإسلام وطبقه الرسول ﷺ والخلفاء من بعده فالتشريع محدد في أحكام القرآن والسنة فلا يستطيع الحاكم أن يشرع طبقاً لهواه وذلك خلافاً للعلمانية .

أما الاستشهاد بسجن ابن تيمية ومحنة الإمام أحمد بن حنبل فهو في غير محله لأن النظم التي ترفع شعار العلمانية يستغل فيها بعض الحكام هذا النظام فلا يقتلون فرداً أو يحبسونه فقط بل يقتلون قرى ومدناً بأكملها ومع هذا لا ينسب ذلك إلى النظم العلمانية – بل استغلال هذه النظم.(١)

---

(١) انظر تهافت العلمانية في الصحافة العربية ص ٥٤ / ٥٥ للمستشار سالم البهنساوي نشر دار الوفاء - وانظر تهافت العالمانية للدكتور صلاح الصاوي ص ١٧ / ١٧٢ فقد قدم الدكتور محمد عمارة والدكتور سليم العواجزاهما الله كل خير - لكل من الدكتور فؤاد زكريا والدكتور فرج فودة ممثلاً العلمانيين في المناظرة نماذج من الاستبداد المعاصر مالايوجد له نظير في تاريخ الاسلام كله ومن العجيب أن هذا الظلم والطغيان تم تحت مسمى الديمقراطية ومن المؤسف أننا لم نسمع صوتاً للعلمانيين يعترض على ذلك الاستبداد وإنما واكلوهم وشاربوهم ورضي العلمانيون حكمهم

المسألة الثانية :

شبهة وجود غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى وعدم مناسبة الحكم الاسلامى لهم (الفتنة الطائفية) والرد عليها

يشاغب العلمانيون دوماً بأن الحكم بالشريعة الإسلامية يفتح باب الفتنة الطائفية بين المسلمين وغيرهم من أبناء الوطن الواحد - فهاهو الدكتور فرج فودة يعتبر أن السبب الرئيسى للفتنة فى مصر – هو سعى بعض المسلمين فى مصر إلى إقامة دولة دينية فى مصر واستجابة الرأى العام جزئياً إلى هذا السعى (١)

ويقـول « أرفض أن يكون حق الحكم لفـريق أو أن يكون حق التـشـريـع لفريق دون آخر أو أن يكون حق ولاية القضاء فى أى أمر من الأمور (٢)

ويعلن رأيه صـراحة رافضاً تطبيق الشريعة الإسلامية فيـقـول إننى لن أترك التـصـدى لهـذا الأمـر مـاحـييت ولن أترك هذه الدعـوة مـاظل فى عـرق ينبض ولن أتزحزح عن إيمانى بأن كل هذه الدعـاوى سيـاسـيـة لبـست ثوب الدين ولبست ديناً لبس ثوب السياسة (٣) ويقول فى إصرار « أنا ضد تطبيق الشريعة الإسلامية فوراً أو حتى خطوة خطوة لأننى أرى أن تطبيق الشريعة لا يحمل فى مضمونه إلا مدخلاً لدولة دينية من يقبل بالدولة الدينية يقبل تطبيق الشريعة ومن يرفض الدولة الدينية يرفض تطبيق الشريعة وعموماً هناك قاعدة إسلامية تقول « يجوز ارتكاب معصية اتقاء فتنة لذلك فأنا أقول : إذا كان عدم تطبيق الشريعة معصية فلتكن معصية نسعد بارتكابها اتقاء لماهو أسوأ وهو الفتنة الطائفية » (١)

---

(١) الطائفية إلى أين ص ١٩

(٢) قبل السقوط ص ٨١

(٣) نفسه ص ٨٦ وانظر المواجهة بين الإسلام والعلمانية [illegible] صلاح الصاوى

(١) نهاية العلمانية ص ٦ [illegible] نقلا عن حوا[illegible] حول السـ[illegible] لأحمد جوده عر[illegible]

الرد على هذه الشبهة :

أولاً : بداية فإن نصوص القرآن الكريم والسنة توصى المسلم دوماً بمعاملة أهل الكتاب بالحسنى والبر والقسط مالم يعتدوا على المسلمين أو يظاهروا عليهم يقول تعالى « **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** »(١)

وفى التطبيق الفعلى لنصوص القرآن والسنة نجد أن رسول الله ﷺ عاهد يهود المدينة ونصارى نجران وجاء فى معاهدته لنصارى « نجران » أن لهم « ذمة الله على دمائهم وأموالهم وملتهم وبيعتهم ورهبانهم وأساقفتهم وشاهدهم وغائبهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير على أن لا يخسروا أو يعشروا ولا يطأ أرضهم جيش ومن سأل منهم حقاً فالنصف « أى القضاء» على أن لا يأكلوا الربا فمن أكل ربا فذمة محمد ﷺ منهم بريئة» (٢)

وسار على هذا الخط من العدل والإنصاف لأهل الكتاب خلفاء النبى وقادته ففى معاهدة خالد بن الوليد مع أهل الحيرة « وشرطت عليهم عهد الله وميثاقه الذى أخذ على أهل التوراة والإنجيل وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله (٣)

(١) سورة التحريم الآية ٨ / ٩ .

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام . الأموال ص ٢٤٤ .

(٣) انظر الوثائق السياسية ص ٣١٧ محمد حميد الله .

وما فعله عمر بن الخطاب مع نصارى الشام معلوم ومشهور (١) وقد ضمن الإسلام لأهل الكتاب حريتهم الدينية ، وجميع المعاهدات تنص صراحة على تلك الحرية الدينية وقد أعطى الإسلام الحق للزوجة اليهودية أو النصرانية أن تذهب إلى مكان عبادتها الأمر الذى جعل الحرية الدينية التى وجدها أهل الذمة فى الدولة الإسلامية - لم تتح لهم من قبل - فهذا عمرو بن العاصى يطلق الحرية الدينية للأقباط فى مصر - ويرد البطريرك « بنيامين » إلى كرسيه بعد تغيبه سنوات عديدة عنه » (٢) وهذا وخلافه من الوقائع جعل أتباع الديانات الأخرى وبالأخص النصارى يستبشرون بالفتوحات الإسلامية ويستعجلونها لتخليصهم من الظلم والا ضطهاد الذى وقع عليهم من بنى جلدتهم المخالفين لهم فى المذهب

يذكر أرنولد أن النصارى « استقبلوا بالرضى بل بالحماسة هؤلاء السادة الجدد الذين وعدوهم بالتسامح الدينى وأظهروا رغبتهم فى تسوية مركزهم الديني واستقلالهم القومى لوأنهم استطاعوا أن يخلصوا أنفسهم من الخطر العاجل الذى كان يحدق بهم (٣)

ثانياً : إذا تجاوزنا التاريخ وهو شاهد صدق على ما قدمه المسلمون للنصارى وغيرهم بشهادات المسلمين وغيرهم - إلى العلمانية التى يدعو العلمانيون الى التحاكم إليها فنقول إن العلمانيين يزعمون أنهم من أنصار حقوق الإنسان وأن العلمانية فى الحكم تعنى حكم الأغلبية – وإذا كانوا قد

---

(١) انظر تاريخ الدعوة إلى الاسلام ص ٧٣ / ٧٥ .

(٢) أحكام الذميين والمستأمنين فى الإسلام ص ١٠٠ بتصرف - للدكتور عبد الكريم زيدان مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٩٧٦ .

(٣) تاريخ الدعوة إلى الاسلام ص ٧٢ وانظرا البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ ص ٢١ / ٢٢

تحفظوا على حقوق غير المسلمين - فى المجتمع المسلم - أفلا يكون من حق المسلمين أن يحكموا بشريعتهم باعتبارهم أغلبية . فهل يرى العلمانيون أن الديمقراطية تعنى حق الأقلية فى تعطيل وإلغاء إرادة الأغلبية ؟ أم أن هذه ديمقراطية جديدة ابتدعوها فى البلاد الإسلامية ليعطلوا أحكام الشريعة التى ينادى بها الأغلبية تحت مزاعم الخوف من الفتنة الطائفية (١)

ثالثاً : أن احتكام المجتمع المسلم للإسلام فضلاً عن أنه إعمال لحقوق الإنسان التى ينادى بها العلمانيون فإنه ليس على حساب الأقليات غير المسلمة لأن هذه الأقليات ليس فى دينها شريعة للدولة فعلى سبيل المثال النصرانية ليس فيها شريعة للدولة لأنها رسالة روحية دعوتها « دع ماالله لله ومالقيصر لقيصر » والعلمانيون فى العالم كله يأخذون على الكنيسة تركها لمهمتها الروحية وانشغالها بالحكم قبل العصور الحديثة .

بل إن العلمانيين يريدون أن يجعلوا الإسلام - نسخة من المسيحية فى بلادنا الإسلامية فإذا ثبت لهم أن الإسلام دين ودولة عقيدة وشريعة وأن إسلامية السياسة والعمران فريضة من فرائضه الإلهية ذهب بهم العداء للإسلام إلى تصوير حاكمية الإسلام وكأنها عدوان على النصرانية التى يعلمون أنها دين لا دولة ويريدون للإسلام أن يقتدى بها (٢) ومفكروالنصارى يعلنون ترحيبهم بالشريعة الإسلامية يقول أحدهم « إن المسيحية لم تضع أى أحكام أو قوانين وضعية وأن أحكامها الروحية لا تصلح لأن تكون أحكاماً تنظيمية على الأرض وأن المسيح اعترف بذلك فى قوله « أعطو ما

---

(١) انظر الإسلام والسياسة ص ١٨٩ / ١٩٠ للدكتور محمد عمارة .

(٢) انظر الإسلام والسياسة ١٩٠ / ١٩١ / ١٩٢ .

لقيصر لقيصر » (١) وبناءً على هذا كله فدولة الإسلام ليست بديلاً عن الدولة النصرانية والقانون الإسلامي ليس بديلاً لقانون نصراني وإنما هما البديل للعلمانية التي ليست عقيدة نصرانية حتى يكون في رفضها اعتداء على النصرانية وإنما يجب أن يتكاتف المسلمون والنصارى جميعاً على إبعادها فكرياً عن بلادنا وهذا هو الواجب الوطني الذي ينبغي أن تتكاتف الجهود عليه (٢) من المسلمين والنصارى على السواء

رابعاً : أن العلمانيين يسيئون ظلماً وزوراً للمسلمين والمسيحيين على السواء ويودون إثارة الفتنة من الوقيعة بين النصارى والمسلمين - إن المستفيد الوحيد من هذا اللبس ومن التخويف بالفتنة إنما هم العلمانيون لا المسلمون ولا غيرهم لأن العلمانية إن استقرت سوف تعود علينا وعليهم بالخطر العظيم لأنها تتعارض مع سائر الأديان ولا تتوافق إلا مع دينها في عبادة الدنيا وحدها ومما يجب التأكيد عليه والحذر منه في الوقت ذاته مقولة أن أمن غير المسلم . وضمان وجوده السياسي والاجتماعي مرتبط بإضعاف الإسلام أو بنفي إسلامية المسلم لأن وضع المسألة على هذا الوضع يعتبر صراعاً عقائدياً ينبغي تحاشيه لما يترتب عليه من أضرار سياسية واجتماعية ولعدم ضمان عواقبه وأن المرحلة التاريخية التي نعيشها منذ غزت أوربا بلادنا تفيد أن نفي إسلامية المسلم لن ينجح إن نجح إلا بتفريغ المسلم من تاريخه وحضارته وكافة مقوماته المميزة له ومن الشعور بالانتماء وهذا من شأنه نفي إسلامية المسلم وقبطية القبطي (٣)

---

(١) الفتنة الطائفية في مصر ص ١١٣ جمال بدوي .

(٢) الإسلام والسياسة ص ١٩٢ .

(٣) انظر العلمانية بين الخرافة والتخريب ٣٢٦ / ٢٧ نقلاً عن طارق البشري

خامسا : أن جميع الذين ينادون بتطبيق الشريعة الإسلامية يكتبون ويقررون ما ذهب إليه فقهاء الإسلام من قبل فى معاملة أهل الكتاب ويضيفون اجتهادات جديدة تتماشى مع العصر الذى نعيش فيه - فقد قرروا أن غير المسلمين لهم أن يقيموا معابدهم ولا يستطيع مسلم أن يحرمهم من حرية العبادة وإن فعل يكون عاصياً لله سبحانه وتعالى ، وذهبوا إلى جواز تطبيق غير المسلمين للأحوال الشخصية وفقاً لقواعد دينهم ويجب على المسلمين تهيئة محاكم لهم يطبق فيها شرعهم كما رأوا أنه بالنسبة لقانون المعاملات ونظراً لأن المسيحية ليس فيها نصوص تنظمها واستناداً إلى تعرض الاسلام لأنواع المعاملات المختلفة فينبغى أن يكون قانون المعاملات قانوناً عاماً للمسلمين ولغير المسلمين (١) » وقد ذهب كثير من المفكرين المسلمين المعاصرين أمثال الدكتور يوسف القرضاوي إلى أن مصطلح أهل الذمة أو الذميين يطلق على المواطنين غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ومعنى هذا المصطلح العهد والضمان والأمان وقد سموا بذلك لأن لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا فى حماية الإسلام آمنين مطمئنين فهم فى أمان المسلمين وضمانهم بناءً على عقد الذمة ، وهذه الذمة تعطى أصحابها من غير المسلمين مايشبه فى عصرنا هذا « الجنسية » وعقد الذمة يتضمن إقرار غير المسلمين على دينهم وتمتعهم بحماية المسلمين ورعايتهم وهذا العقد ينشئ حقوقاً متبادلة بين الطرفين فمن حقوقهم حمايتهم من كل عدوان خارجي ومن كل ظلم داخلى حتى ينعموا بالأمن والأمان والاستقرار ويتضمن حق الحماية الداخلية

---

(١) الاسلام والداعية حكم الإسلام والأقليات دار الأنصار القاهرة حـ ١ ص ٨٢ وانظر فتحى يكن المسألة اللبنانية من منظور إسلامى ص ١٣٠ مؤسسة الرسالة

حماية دمائهم وأنفسهم وأبدانهم وأموالهم وأعراضهم وتأمينهم عند العجز والشيخوخة والفقر

ومن حقوقهم بمقتضى هذا العقد حرية التدين حيث لا يجوز إجبار كل ذى دين على تركه إلى غيره فلا إكراه فى الدين ولهذا لم يعرف التاريخ شعباً مسلماً حاول إجبار أهل الذمة على الإسلام وكذلك حفظ الإسلام والمسلمون لغير المسلمين معابدهم وحرمة شعائرهم (١)

سادساً : لقد فهم زعماء النصارى عدالة الإسلام وصرحوا بترحيبهم بتطبيق الشريعة الإسلامية فى مواقفهم المعلنة وفيها الحجة على العلمانيين - يقول البابا شنودة فى موقفه المعلن « إن الأقباط فى ظل حكم الشريعة يكونون أسعد حالاً وأكثر أمناً ولقد كانوا كذلك فى الماضى حينما كان حكم الشريعة هو السائد نحن نتوق إلى أن نعيش فى ظل لهم مالنا وعليهم ما علينا إن مصر تجلب القوانين من الخارج حتى الآن وتطبقها علينا ونحن ليس عندنا ما فى الإسلام من قوانين مفصلة فكيف نرضى بالقوانين المجلوبة ولا نرضى بقوانين الإسلام » (٢) لقد عبر البابا شنودة فى هذا الموقف المعلن عن كل ما نريد أن نقوله نقضاً لشبهات العلمانيين فى قضية الأقليات (٣)

وليس البابا شنوده وحده بل غيره كثيرون (٤) عبروا عن مثل ما عبر عنه يقول الأنبا « يوحنا قلته » وهو كاثوليكى مصرى « أوافق تماماً على أن

---

(١) انظر غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى ص ١٠ بتصرف مكتبة وهبة .

(٢) صحيفة الأهرام ٦ مارس سنة ١٩٨٥ م .

(٣) الإسلام والسياسة ص ٢٠٥ .

(٤) انظر العلمانية بين الخرافة والتخريب ص ٣٢٤ / ٣٢٥

أكون مصرياً مسيحياً تحت حضارة إسلامية بل أنا مسلم ثقافة مائة فى المائة أنا عضو فى الحضارة الإسلامية كما تعلمتها فى الجامعة المصرية تعلمت أن النبى ﷺ سمح لمسيحى اليمن أن يصلوا صلاة الفصح فى مسجد المدينة فإذا كانت الحضارة الإسلامية بهذه الصورة التى تجعل الدولة الإسلامية تحارب لتحرير الأسير المسيحى ، والتى تعلى من قيمة الإنسان كخليفة عن الله فى الأرض فكلنا مسلمون حضارة وثقافة وإنه ليشرفنى وأفتخر أننى مسيحى عربى أعيش فى حضارة إسلامية وفى بلد إسلامى وأساهم مع جميع المواطنين فى بناء هذه الحضارة الرائعة » (١)

وليس المفكرون وحدهم هم الذين أعلنوا هذا - بل الجماهير النصرانية التى يعول عليهم العلمانيون كثيراً . تلك الجماهير ، أعلنت رأيها صراحة فى استطلاع الرأى الذى نظمه المركز القومى للبحوث وجاء فيه أن نسبة المسيحيين الذين يؤيدون تطبيق الشريعة على المسلمين والمسيحيين جميعاً بصرف النظر عن اختلاف الدين زادت عن المسلمين بنسبة ٧١ ٪ إلى ٦٩ ٪ وأن نسبة المسيحيين الذين يؤيدون التطبيق الفورى للشريعة الإسلامية زادت عن المسلمين بنسبة ٣٢ ٪ الى ٣١ ٪ (٢)

وينبغى أن نشير هنا إلى أن استدلالنا بتصريحات زعماء النصارى المعلنة أو الاستدلال باستطلاعات الرأى إنما هو من باب الإلزام فقط للعلمانيين وبيان كذبهم ببيان رأى النصارى الذين يتحدثون عنهم وإلا فإن الأمة المسلمة يجب أن تلتزم بأحكام الشريعة - نزولا على حكم الله واستجلاباً لرضاه ولتحقيق الأمن والسعادة فى الدنيا والآخرة يقول تعالى

---

(١) انظر الإسلام والسياسة ص ٢٠٥ .

(٢) الدكتور محمد عمارة العلمانية ونهضتنا الحديثة ص ١٩٩ / ٢٠٢ الطبعة الأولى دار الشرق

«وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً » (١) والتخيير إنما يكون فى أمر يملك الناس فيه الخيار . فإذا كان الأمر إلزاما من الله ورسوله لأنه من أصل الاعتقاد .

فهل يجوز أن نخير المسلم فنقول له هل تريد أن تحكم بشرع الله أم بالقوانين التى وضعها للبشر ؟

لقد وصل الأمر أن يكون تطبيق الشريعة الذى هو أصل من أصول الإيمان موضع استفتاء وتخيير ثم إذا اختارت أغلبية ساحقة من الناس حكم الشريعة اختياراً حراً لا شبهة فيه قيل لهم لا نسمح لكم بتنفيذ ما اختارته الأمة لأنكم غير ديمقراطيين (٢) ؟؟

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٦

(٢) انظر العلمانيون والإسلام ص ٨٨ - وقد سمعت بأذناى فى معرض القاهرة الدولى للكتاب فى مناظرة بين الشيخ الغزالى والدكتور محمد عمارة والمستشار مأمون الهضيبى من جهة والدكتور محمد خلف الله - والدكتور فرج فودة . سمعت هذا الأخير يقول فى تحدٍ سافر لا يحسد عليه لن نقبل بتطبيق الشريعة حتى ولو كان هذا مطلب الأغلبية ؟؟؟

الخاتمة وتشمل أهم نتائج البحث

أولاً : اتضح للباحث بعد الغوص فى معاجم اللغة العربية ومعاجم اللغات الأجنبية أن العلمانية تعنى الاتجاه نحو الدنيا أو العالم الحاضر بعيدا عن العالم الآخر . أو تطلق على الرجل الدنيوى فى مقابل الدينى . وأنها بفتح العين من العالم وليست بكسر العين من العلم .

ثانيا : أن العلمانية فى المصطلح تعنى إما الاعتراف بالدين ولكن لابد من إبعاده عن شئون الدولة والحكم وسائر أمور الحياة ، وإما عدم الاعتراف به أصلاً تحت زعم أنه لا ضرورة لوجوده ، كما هو الشأن مع الفلسفات المادية وكذلك الأنظمة الماركسية والشيوعية .

ثالثا : أن ما يسميه البعض بالعلمانية المعتدلة أو المحايدة تعبيراً لا يغير من حقيقة العلمانية خاصة مع الإسلام - لأن العلمانية المحايدة تلك - مع اعترافها بالدين إلا أنها تختزل تعاليمه فى دائرة ضيقه - أما الإسلام فله كلمته فى أمور الدنيا والآخرة ومن ثم فإبعاده عن بعض الأشياء معناه أخذ بعض أحكامه وترك الآخر ، وهذا لا ينبغى أن يكون عند المسلمين ديناً وواقعاً . وأن هذه العلمانية المعتدلة تتعارض مع الإسلام خاصه فيما يتعلق بالولاء والبراء ، وفيما فرضه الله ورسوله .

رابعاً : أن العلمانية نشأت فى أوربا فى ظروف خاصة - نتيجة لفساد رجال الدين هناك وانصرافهم عن مهمتهم إلى مهام أخرى لاتمت إلى الدين بصلة ، ومن ثمَّ فقدوا صورتهم فى نظر الشعب خاصة بعد أن أضافوا لمهمتهم العقل والتعذيب فيما يعرف بمحاكم التفتيش التى لم

يعرف العالم مثيلا لبشاعتها إلا ما حدث للمسلمين فى الأندلس قديما وما حدث للمسلمين فى البوسنة والهرسك ، والشيشان حديثاً .

خامسا : أن كل الظروف التى هيأت لقيام العلمانية فى أوربا ، لم يكن فى المجتمع الإسلامى مثلها - فليس فى الإسلام مصطلح رجال الدين يحلون ويحرمون ويعيشون كأنهم ظل الله فى الأرض وليس فى تعاليم الإسلام ولا فى واقع المسلمين ما عرف بصكوك الغفران ولم يقف الإسلام وعلماؤه وحكامه ضد العلم كما حدث فى أوربا - بل إن كل العوامل كان تشجع على طلب العلم ومكافأة العلماء الأمر الذى أدى إلى نهضة علمية اعترف بها القاصى والدانى وجاء الأوربيون لينهلوا من علوم المسلمين .

سادسا : أن ما ينادى به البعض من العلمانية فى البلاد الإسلامية دعوة داحضة ليس لها أصول ولا جذور . وإنما الأمر كما يقول الإمام الأكبر شيخ الأزهر « وحتى يموه العلمانيون على الناس شذوذ دعوتهم هذه نجدهم يشوهون صورة الإسلام والتاريخ الإسلامى حتى يصبح تاريخ الإسلام والخلافة الإسلامية كهانة وكهنوتا وكأنهم بهذا التمويه يفتعلون مشكلة ليفتعلوا لها حلاً وذلك بدلاً من الاعتراف بتميز الإسلام عن غيره وتميز المسلمين السياسى عن كهانة وتاريخ الغرب وحكم كنيسته بما عرف لديهم بالتفويض والحق الإلهى » وهذا الكلام لا مزيد عليه - نسأل الله أن يهدينا سبلنا وأن يحفظ علينا نعمة الأمن والأمان وأن يحفظ مصرنا من كل الفتن ما ظهر منها وما بطن

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- كتب السنة

إدوار إلياس

٣- القاموس الجامعى - المطبعة العصرية

أحمد رضا

٤- متن اللغة مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٠م

ألبرت ريحانى

٥- الموسوعة العربية الطبعة الأولى - دار الريحانى للطباعه

أبو الحسن الندوى

٦- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - دار السنة القاهرة

بطرس البستانى

٧- محيط المحيط بيروت ١٩٧٠ م

د/ جوزيف نسيم

٨- تاريخ العصور الوسطى الأوربية وحضارتها - دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٨م

زكريا فايد

٩- العلمانية النشأة والأثر - الزهراء للإعلام العربى ١٩٨٨م

د/ سفر الحوالى

١٠- العلمانية دار الهجرة الرياض

د/ سيد فرج

١١- جذور العلمانية دار الوفاء الطبعة الرابعة ١٩٩٠م

سيد قطب

١٢- فى ظلال القرآن دار الشروق

شبلى العيسمى

١٣- العلمانية والدولة الدينية - دار الشئون الثقافية العامة بغداد ١٩٨٦م -

د/ صلاح الصاوى

١٤- تهافت العالمانية

د/ عماد الدين خليل

١٥- تهافت العلمانية - مؤسسة الرسالة

د/ على جريشه

١٦- الاتجاهات الفكرية المعاصرة دار الوفاء ١٩٨٨

د/ عدنان الخطيب

١٧- قصة دخول العلمانية فى المعجم العربى بحث مقدم لمجمع اللغة العربية

عبد العزيز البدرى

١٨- الإسلام بين العلماء والحكام المكتبة العلمية بالمدينة ١٩٦٦ م

د/ عبد الصبور شاهين

١٩- العلمانية تاريخ الكلمة وصياغتها بحث مقدم لمجمع اللغة العربية

ابن فارس

٢٠- معجم مقاييس اللغة - تحقيق عبد السلام هارون ١٩٧٥م

فتحى القاسمى

٢١- العلمانية وانتشارها شرقاً وغرباً الدار التونسية للنشر

د/ فرج الله عبد البارى أبو عطا الله .

٢٢- نقض دعوى عالمية النصرانية - حولية أصول الدين بطنطا ١٩٩٧م

٢٣- الديمقراطية رؤية إسلامية - حوليه أصول الدين بطنطا ١٩٩٨ م

ابن كثير الدمشقى الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى

٢٤- تفسير القرآن العظيم - طبعة عيسى البابى الحلبى

د/ محمد البهى

٢٥- الفكر الإسلامى والمجتمع المعاصر - دار وهبة

٢٦- العلمانية وتطبيقها فى الإسلام - دار وهبه

محمد أركون

٢٧- العلمنة والدين - ترجمة هاشم صالح - دار الساقى

محمد تقى الأمينى الندوى

٢٨- عصر الإلحاد - الناشر دار الصحوة - القاهرة

محمد مهدى شمس الدين

٢٩- العلمانية - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

د/ محمد عمارة

٣٠- الإسلام والسياسة نشر مجمع البحوث الإسلامية

٣١- العلمانية ونهضتنا الحديثه - دار الشروق الطبعة الأولى

محمد قطب

٣٢- مذاهب فكرية معاصرة - دار الشروق

٣٣- العلمانيون والإسلام - دار الوطن الرياض

د/ يوسف القرضاوى

٣٤- الإسلام والعلمانية وجها لوجه - مؤسسة الرسالة

٣٥- وغير المسلمين فى المجتمع الإسلامى - دار وهبه

يوسف كرم

٣٦- تاريخ الفلسفة الحديثه - دار المعارف

وول ديورانت

٣٧- قصة الحضارة - هيئة الترجمة والتأليف والنشر

ويلز

٣٨- معالم تاريخ الإنسانية - هيئه الترجمة والتأليف والنشر

الدكتور يحيى هاشم حسن فرغل

٣٩- العلمانية بين الخرافة والتخريب - نشر اللجنة العليا للدعوة بالأزهر

المعاجم والموسوعات

٤٠ - المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية القاهرة

٤١- معجم العلوم الاجتماعية - تأليف نخبة من الأساتذة المصريين والعرب تصدير د/ إبراهيم بيومى مدكور - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥

٤٢ الموسوعة الفلسفية المختصرة - مراجعه د/ زكى نجيب محمود

٤٣- موسوعة الفلسفة د/ عبد الرحمن بدوى

٤٤- الموسوعة المختصرة للأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة معجم المصطلحات - وضع الأستاذ / حمدى عبيد - الناشر الندوة العالمية للشباب الرياضى ١٩٩٧م .

هناك الكثير من المصادر والمراجع والصحف والدوريات اكتفينا بإيرادها فى الهامش

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات